الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

جدل الفقه والتصوف
في المدرسة المدْينية بالغرب الإسلامي
(ق 06-08هـ/12-14م)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالب:

شعيب زاوي

إشراف الأستاذ:

لخضر بولطيف

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016-2017م

الإهــداء:

إلى الوالدين الكريمين..

إلى كل من علمني حرفا، فصرت له عبدا..

إلى الذين حرموا نعمة العلم، فظل في صدورهم جرحا لا يندمل..

إلى الخيرين في هذه الأمة..

إلى كل أصدقائي..

إلى كل من جعل العلم مفتاح النجاح..

شكر و تقدير

لا يسعنا بعد أن أنهينا هذا العمل المتواضع، إلا أن نشكر الله عز وجل المنعم الأول

الذي يعجز العقل عن الإحاطة بجميع نعمه، و يعجز اللسان عن شكره عليها بما هو أهل له،

فالحمد لله أولا و آخرا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه..

ومن ثم فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور "لخضر بولطيف"

الذي كان له الفضل الكبير في تقويم ما أعوج من هذا البحث العلمي،

من خلال ما قدمه من أفكار بناءة، و آراء سديدة، كانت لنا بمثابة النور الذي استضأنا به

فجزاه الله عنا أوفى الجزاء..

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأيادي الخيرة التي سعت

إلى إيصال مصادر البحث إلى متناول أيدينا، و إلى كل من مد لنا يديه بالعون،

وأهدانا ثمار معرفته أو صدق دعواته "الطاهر بونابي"..

فنسأل الله أن يوفقهم لما فيه صلاحهم.

و أخيرا، فلن ننسى أن نتقدم بالشكر الوفير إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل

الذين تفضلوا بفحص هذا البحث، وإثرائه بملاحظاتهم و آرائهم الوجيهة

التي ستجعله إن شاء الله في أحسن تقويم.

شعيب زاوي

المقدمـة

1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

إن علاقة الفقه بالتصوف ظاهرة برزت للوجود بانتشار الملل والنحل، التي عمت العالم الإسلامي في القرون الأولى من صدر الإسلام، بعدما كانت عديمة الوجود في عهد النبوة، والرعيل الأول من الصحابة، الذين استلهموا من سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، والوحي السماوي معاني الحياة والموت، فأدركوا أن الحياة لهو ولعب وأن الآخرة هي دار القرار، مما جعلهم يزهدون في الأولى ويطلقونها بينونة كبرى، ويضرب التاريخ لنا أروع الأمثلة في ذلك، فمنهم من فضّل المرقّع من الثّوب على السندس والإستبرق، رغم سمو المنصب، وذاك تصدّق بكل ماله، وآخر جهّز جيشا بأكمله، ولم يمنعهم شظف العيش، ولا مكابدة المحن، ولا الجهاد في سبيل الله، من أن يبيتوا لربهم سجدا وقياما، يبتغون فضلا ورضونا، وأن يسألوا عن كل شاردة وواردة في الدين، فنالوا بذلك مرتبة الفقيه الزاهد العابد.

لكن بمرور الوقت، وبعد أن بسطت إلى الناس الدنيا يدها، وأوقعهم في حبالها، فاستناموا، بل خلدوا إليها، اختلّت المفاهيم، وأصبح مصطلح الفقه والتصوف يختلفان كل الاختلاف، وظهرت تباعا العديد من الفرق الصوفية، التي كان لها روادها ومريدوها، ولعل أبا مدين ومدرسته من بعده هم جزء من هذه الحقيقة التاريخية، وبدون شك فان تتبع مسيرة هؤلاء تحتاج إلى خبير في المسالك، كسراقة بن مالك، حتى لا يتيه في الصحراء، ويحيد عن الصواب.

إن فضولي المعرفي، وقلة الدراسات السابقة في هذا البحر متلاطم الأمواج، هي التي جعلتني أحاول فك شفرة هذا الموضوع، فالعديد منا يحاول تجاهل هذه المواضيع بحجة أقدميتها، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- ✓ كيف أمكن للمدرسة المدينية أن تنتظم في منهجها الفقه والتصوف، وتمزج ما بينهما في مبادئها وتعاليمها؟

وقد تفرعت عنها جملة من التساؤلات:

ما وجه الفرادة في شخصية أبي مدين؟ وهل سلك تلامذته في حياته، ومن بعده، نفس مسلك شيخهم؟ وهل تأتّى للطريقة الشاذلية التي تولدت عن المدينية، أن تصبح طريقة مستقلة بنفسها أم أنها ظلت مجرد محاكاة للمدينية؟

2- الدراسات السابقة:

بعد التفتيش المضني عثرنا على دراسة بعنوان:

-أبو مدين الغوث التلمساني: شخصيته وأثاره، وهي مذكرة ليسانس للطالب عبد الصمد بوشارب، نوقشت بجامعة ابن خلدون، تيارت، سنة 2012/2011، وقد تناولت ترجمة لشخصية أبي مدين، وأوضاع العصر الذي عاش فيه، وجوانب من تصوفه.

في حين يمكن عد دراستي، تتمة لما أغفلته هذه المذكرة، فيما يتصل بالتوافق بين الشريعة والحقيقة في تجربة أبي مدين، وامتدادها من خلال تلامذته (التوليفة الفقهية والصوفية في المدرسة المدينية).

3- المنـهج والرؤيــة:

أما فيما يخص المنهج، فقد استخدمت المنهج التاريخي بمختلف آلياته، فوظفت آلية التتبع والاستقصاء في حصر إفادات المصادر بشأن شخصية أبي مدين، وعلى إثرها أجريت مقابلة بين هذه المصادر لمعرفة أوجه الاختلاف والتشابه القائم بينها، إضافة إلى آلية التحليل، وذلك من خلال معالجة بعض الأقوال والإفادات، وخاصة حكم أبي مدين، لأجل معرفة منهجه وطريقته في التصوف، كما وظفتها في شرح بعض الحكم العطائية، واستنتاج العلاقة بين ما أخذته الطريقة الشاذلية عن الطريقة المدينية، أو بمعنى آخر وجه تأثر الشاذلية بالمدينية.

4- هيكل الموضوع:

بعد استمداد جملة وافرة من المصادر والمراجع، ارتأينا تقسيم العمل إلى فصل تمهيدي، وثلاثة فصول أساسية، حيث:

عنونا الفصل التمهيدي بـ: الفقه والتصوف.. علائق واختلاف، والذي أفسحنا فيه المجال لتعريف الفقه والتصوف لغة واصطلاحا، مع إلمامة بتاريخ أصول الفقه، إضافة إلى تاريخ ظهور التصوف، واستنباط العلاقة بينهما.

في حين جاء الفصل الأول موسوما بعنوان: تجربة أبي مدين في التوفيق بين الفقه والتصوف، والذي اندرجت تحته ثلاثة مباحث:

- ✓ المبحث الأول: البعد الفقهي في تجربة أبي مدين شعيب.
- ✓ المبحث الثاني: الحضور الصوفي في تجربة أبي مدين شعيب.
- ✓ المبحث الثالث: تأثير الرحلة في تكوين شخصية أبي مدين شعيب.

أما الفصل الثاني، فارتأينا تخصيصه للتوافق بين الحقيقة والشريعة عند تلامذة أبي مدين، والذي انقسم بدوره إلى أربعة مباحث:

- ✓ المبحث الأول: تلاميذ أبي مدين بإفريقية.

- ✓ المبحث الثاني: تلاميذ أبي مدين ببجاية وتلمسان.
- ✓ المبحث الثالث: تلاميذ أبي مدين يالمغرب الأقصى.
- ✓ المبحث الرابع: تلاميذ أبي مدين بالأندلس.

أما الفصل الثالث: فأفردناه للحديث عن انصهار المدرسة المدينية في الطريقة الشاذلية، والذي تفرعت عنه ثلاثة مباحث:

- ✓ المبحث الأول: بطاقة تعريفية لأبي الحسن الشاذلي.
- ✓ المبحث الثاني: نهج الطريقة الشاذلية.
- ✓ المبحث الثالث: أقوال الشاذلي وحكمه ومآثره.

5- الدراسة النقدية:

وقد اعتمدنا على طائفة وافرة من المصادر والمراجع:

1-المصادر: ويمكن تصنيفها إلى مصادر مغربية ومشرقية:

1-1-المغربية:

- **كتاب التشوف إلى رجال التصوف:** لابن الزيات التادلي الذي ألفه في القرن السابع الهجري، والذي أفادنا في معرفة الجانب الصوفي، من حياة أبي مدين، ومنهجه، كما معرفة توجهات متصوفة آخرين.

- **كتاب أنس الفقير وعز الحقير:** لابن قنفذ القسنطيني توفي (810هـ/ 1407م)، فقد كان هذا المصدر بمثابة العمود الفقري للبحث، وقد وظفناه للحديث عن مراسلات أبي مدين وتلميذه المهداوي، علما أن الكتاب جله يدور حول أبي مدين، وما يتعلق به.

– **كتاب البستان في ذكر الأولياء بتلمسان:** لابن مريم توفي (1014هـ/ 1605م)، والذي أفادنا في معرفة بعض الكرامات المتعلقة بأبي مدين، مثل الرجل الذي جاء يقتبس من أنوار.

– **كتاب عنوان الدراية:** للغبريني، والذي أفادنا في معرفة بعض تلامذة أبي مدين، مثل عبد الرحمان الاشبيلي، إضافة إلى حكم وأقوال أبي مدين.

– **كتاب درة الأسرار:** لابن الصباغ وقد وظفناه للحديث عن أقوال وحكم الشاذلي، وما استنبطه من المدرسة المدينية، دون أن ننسى كتاب الحكم العطائية لعطاء الله السكندري.

1-2- المشرقية:

– **كتاب جامع كرامات الأولياء،** للنبهاني ت(1350هـ)، والذي أفادنا في معرفة كرامات أبي مدين، مثل قصة الأسر.

2- المراجع:

– **كتاب التصوف في الجزائر،** للطاهر بونابي الذي كان بمثابة الموجه الناظم لخطى هذا البحث، والذي أفادنا في معرفة تلاميذ أبي مدين، إضافة إلى تعريف التصوف.

– **كتاب الطريقة الشاذلية للعتيمي:** الذي أفادنا في الحديث عن مولد ونشأة أي الحسن الشاذلي، إضافة إلى معرفة قواعد مدرسته ونهجها.

وفي الأخير: أتمنى أن أكون قد وفقت في الانتقاء من بين هذه الدرر الثمينة، ما غلا ثمنه، وخف وزنه، وأخرجت من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

الفصل التمهيدي:

الفقه والتصوف.. علائق واختلاف

أولا: الفقه

ثانيا: التصوف

ثالثا: علاقة الفقه بالتصوف

تمهيد:

تنقسم الشريعة عند المسلمين إلى قسمين: علم الظاهر، أو الشريعة، وهي من اختصاص الفقهاء، وحامل هذا العلم يسمى بالفقيه، وعلم الباطن، أو الحقيقة، وهي من اختصاص الصوفية، وقد اختلف بنشاطهم العلماء باختلاف مجالاتهم، سواء التعريف اللغوي أو الاصطلاحي لكل واحد منهما، وهذا ما جعلنا نفرد لكل قسم منهما مجالا من البحث، قصد محاولة إظهار خاصية كل منهما .

أولا: الفقه

1- تعريف الفقه:

1-1-لغة: يعني العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لشرفه وفضله على سائر أنواع العلم[1]، ويأتي بمعنى الفطنة، وقيل فهم الأشياء الدقيقة[2]، وفقه: كعلم وفهم، وهو الفقه الأكبر، المسمى بعلم أصول الدين[3].

وقيل: هو عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه[4]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه، لما دعا له النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، أي: فهمه[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1882، مج: 5، ص3450.

[2] محمود عبد الرحمان عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، 1999، ج3، ص49.

[3] الكفوي، الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 690.

[4] محمود شريف الجرجاني، التعريفات، ط1، دار لبنان، لبنان، 1985، ص175.

[5] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار التراث العربي، لبنان، (د، ت)، ج3، ص465.

وقد وردت فيه آيات وأحاديث كثيرة منها قوله تعالى: تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ويقال : فقهت فلانا كذا، وأفقهته أي: فهمته[2]، وفاقهه: باحثه في العلم[3]، والفقه بالكسر: العلم بالشيء[4]، وتفقه: إذا تعاطى ذلك[5]، والفقه بالفتح، يعني: سبق الغير إلى الفهم، والفقه بالضم، يعني: صار الفقه له سجية، وقيل الفقه بالكسر، هو الفهم[6]، والفقيه من اتصف بهذا العلم وهو المجتهد[7].

1-2-اصطلاحا:

قبل الولوج في المعنى الاصطلاحي، نشير إلى أن هناك عدة تعريفات أعطيت لهذا المصطلح، وسأحاول سردها بعضها.

قال بعضهم: الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية[8]، العملية[9]، المكتسب من أدلتها التفصيلية[10]، التي طريقها الاجتهاد[11]، فهو من العلوم المدونة، والفقيه من

---

[1] سورة التوبة، الاية122.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2، ص23.

[3] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، الرسالة، بيروت، 2005، ص1250.

[4] الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1965، ج36، ص456.

[5] الجوهري، الصحاح، تح : أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار الملايين، بيروت، 1990، ج6، ص 2243.

[6] محمود عبد الرحمان عبد المنعم، المرجع السابق، ج3، ص 49-50.

[7] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج وآخرون، ط1، لبنان، 1996، ج2، ص1093.

[8] المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، دارا لفكر المعاصر، بيروت، 1990، ص67.

[9] الجرجاني، المصدر السابق، ص 175.

[10] محمد زكريا الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، بيروت، 1991، ص67.

[11] احمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج3، ص 29.

اتصف بهذا العلم، وهو المجتهد، فلا يمكن أن نتصور فقهيا غير مجتهد والعكس، فهو يشمل جميع العلوم الدينية، لذا سماه أبو حنيفة الفقه الأكبر[1].

وهو معرفة النفس مالها وما عليها، ويشمل العقائد والأخلاق، والعبادات والمعاملات[2]، فدخل فيه بالعلم جميع العلوم، وخرج بالأحكام العلم بالذوات والصفات والأفعال[3].

عرفه الغزالي بقوله: " هو العلم بالأحكام الشرعية الثابتة، لأفعال المكلفين.

وقال الرازي: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية.

وقال الأمدي: هو العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفروعية، بالنظر والاستدلال

وقال البيضاوي: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسبة من الأدلة التفصيلية[4].

وعلم الفقه: هو البحث في المسائل والإفتاء فيها على الفاقهين، فالصحابة كانوا يسمون بالقراء، وأطلق اسم الفقهاء فيما بعد على الباحثين في هذه المسائل، وانقسم الفقه حينئذ إلى طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، ورئيس هذه المدرسة أبو حنيفة النعمان، وطريقة أهل الحجاز، وهم أهل الحديث ورئيس هذه المدرسة الإمام مالك ابن انس الشافعي، حيث اقتصر على ظاهر النصوص والإجماع[5].

---

[1] التهانوي، المصدر السابق، ج2، ص1093.

[2] محمود عبد الرحمان عبد المنعم، المرجع السابق، ج3، ص 49.

[3] الكفوي، المرجع السابق، ص 690.

[4] محمود عبد المنعم، المرجع نفسه، ج3، ص 50.

[5] ابن خلدون، المقدمة، تح : على عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة، مصر، 2014، ج3، ص 1207.

2- تاريخ أصول الفقه وقواعده:

قبل الحديث عن تاريخ أصول الفقه وجب علينا إظهار العلاقة بين الفقه وتاريخ أصوله، فهي علاقة الأصل بالفرع، والأساس بالبناء، فبواسطة أصول الفقه وما يتوصل إليه الأصولي من قواعد وضوابط يتمكن الفقيه مباشرة من استنباط الأحكام الشرعية[1]، فمثلا إذا توصل الأصولي في بحثه إلى أن مطلق الأمر يفيد الوجوب، كانت هذه النتيجة بمثابة مسلمة قام الفقيه مباشرة بتطبيقها على الأدلة التفصيلية، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[2]، حكم بان أداء الصلاة واجب وفرض لازم[3].

الأصول: جمع أصل وهي في اللغة: ما يبنى عليه الشيء[4]. والأصل: أسفل كل شيء، يقال: استأصلت هذه الشجرة: أي ثبت أصلها[5].

أما في العرف فله معاني متعددة منها:

الأصل بمعنى الراجح، يقال: أصل الحقيقة، يعني الراجح، بمعنى ترجح عن المجاز وطفا عليه، ويأتي بمعنى الدليل، يقال: الأصل في هذا الحكم الكتاب، يعني: الدليل الذي يستند إليه الحكم هو الكتاب، وهذا متعارف عليه عند الفقهاء[6]، ويطلق علم علم أصول الفقه، على الأدلة التي يبني عليها الفقيه الأحكام، وما يتوصل إليه من أدلة على سبيل الإجمال، وهذه الأدلة :هي القرآن الكريم، السنة النبوية، الإجماع والقياس[7].

---

[1] مصطفى سعيد الخن، أصول الفقه الإسلامي-تاريخه وتطوره-، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 2002، ص76.

[2] سورة المزمل، الاية18.

[3] مصطفى سعيد الخن، مرجع السابق، ص76.

[4] محمد زكرياء البرديسي، أصول الفقه، دار الثقافة، مصر، (د، ت)، ص 22.

[5] ابن منظور، المصدر السابق، ص 79.

[6] البرديسي، المرجع السابق، ص 22.

[7] الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، تح: محي الدين ديبوستو ويوسف علي بدوي، ط1: دار ابن كثير، بيروت، 1990، ص35.

فهؤلاء الأصوليون خصوا بالفهم والاستنباط في فقه الحديث، والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام، وحدود الدين، وأصول الشرع .

وله معنيان: معنى على أنه مركب إضافي، مركب من كلمتين، أصول وفقه، فالأصول مضاف إلى الفقه، وهذا الأخير (الفقه) مضاف إليه، ومعرفة المركب متوقفة على معرفة أجزائه ، ولهذا لابد من معرفة المضاف، والمضاف إليه[1]، وهما الأصول والفقه كما أشرت لذلك سابقا.

2-1- تاريخ أصول الفقه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم:

لو رجع الأمر بنا إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، منذ بداية رسالته، إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، نجده لم يكن في حاجة ماسة إلى وضع قواعد يسير عليها في تشريعاته، ما دام الوحي موجودا، سواء بقسميه: المتلو، وهو القرآن الكريم، أو غير المتلو (السنة النبوية)، فإذا طرأ أي أمر ما يقتضي تشريعا في خصوصه، أو واقعة أو سؤال، أوحى الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن كان يقتضي تشريعا، ولم ينزل قرأن يسن الحكم، اجتهد صلى الله عليه وسلم في التمييز عنه: بقول، أو فعل أو تقرير[2]. قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[3].

2-2- تاريخ أصول الفقه زمن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم:

الصحابة رضي الله عنهما جل الناس، وأقدرهم على فهم ما ورد في القرآن الكريم والسنة، وأنفذهم بصيرة بأسرار التشريع[4]، وذلك لملازمتهم الشديدة للرسول صلى

---

[1] البرديسي، المرجع السابق، ص 22.

[2] إبراهيم منصور الشحات، أصول الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ص5.

[3] سورة النجم، الاية4.

[4] البرديسي، المرجع السابق، ص6.

الله عليه وسلم، إضافة إلى ما جبلوا وطبعوا عليه من حدة الذهن، وصفاء الخاطر، فقد كان القرآن الكريم ينزل موافقا لرأي بعضهم مثل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

لقد كان الصحابة متمسكين بكتاب الله أولا، ثم السنة النبوية ثانيا [1]، فإن لم يجدوا فيها شيئا، بحثوا في الأشباه والأمثال، مراعين في ذلك المصالح التي جعلتها الشريعة[2]، فإذا اتفقت أراؤهم على شيء، قضى به الخليفة، واعتبر ذلك إجماعا منهم، لا تجوز مخالفته، فأصول الفقه معروفة من ذلك العهد[3]، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: قضاء علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، بجلد شارب الخمر ثمانين جلدة، قياسا على عقوبة القذف، من قوله تعالى "﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[4]، وعلل حكمه بقوله: إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فحده حد المفتر، وهو ثمانون جلدة [5].

وهنا يمكن القول: أن دائرة أصول الفقه اتسعت وأصبحت القرآن الكريم، السنة النبوية، الإجماع، القياس.

وهكذا سار التابعون على منهج الصحابة، واقتفوا أثرهم، فكانوا يصدرون أحكامهم ليس جزافا، وإنما من الكتاب، والسنة وفتاوى الصحابة وهذه المصادر غنية بالأحكام الدنيوية والأخروية، فهي مصادر عربية، وهم عرب، والعرب أدرى بفقههم[6].

---

[1] عبد الله البيضاوي، منهاج الوصول إلى علم الأصول، تح : شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار ابن حزم، بيروت، (د، ت)، ص9.

[2] البرديسي، المرجع السابق، ص6.

[3] عبد الله البيضاوي، المرجع السابق، ص 12.

[4] سورة النور، الاية4.

[5] إبراهيم منصور الشحات، المرجع السابق، ص7.

[6] البرديسي، المرجع السابق، ص8.

فهم الذين تخرجوا على أيديهم، ونهلوا من علومهم[1]، وقد أثنى عليهم الله بقوله﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]،وبعد اتساع رقعة الإسلام، واختلاط العرب بالعجم، وظهور العجمة واللكنة في اللسان العربي، وجد الفقهاء أنفسهم بحاجة إلى وضع قواعد جديدة غير المعروفة .حيث يقول ابن خلدون: من أسباب التدوين (الفقه)، فساد الملكة في اللسان، وما يترتب عن ذلك من أحكام[3]، ضف إلى ذلك حرص المسلمين على التمسك بدينهم، والعمل به من عبادات ومعاملات[4]

ثانيا: التصوف

قبل الحديث عن تعريف التصوف ومفهومه، تجدر الإشارة إلى أن: هناك من يغلو في تفصيله (التصوف)، وإعطاء منزلة فوق مرتبته، ومنهم من يسرف ويجحف في الطعن، وقبح المقال فيه وينسبه إلى الزندقة والضلالة، والكفر.

كما تجدر الإشارة إلى: اختلاف المصادر والمراجع في أصل نشأة كلمة التصوف، واشتقاقها، سواء المعنى اللغوي، أو الاصطلاحي، وعليه: سنحاول تقديم تعريفات عدة، سواء لغوية، أو مفاهمية (اصطلاحية) لهذا المدلول.

---

[1] عبد الله البيضاوي، المرجع السابق، ص14.

[2]سورة التوبة، الاية101.

[3]ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 1383.

[4]مصطفى سعيد الخن، المرجع السابق، ص59.

1-تعريف التصوف:

1-1-لغة:

سئل الشبلي: لماذا سميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال: هذا الاسم أطلق عليهم اختلف في أصله، ومصدر اشتقاقه[1].

جاء في لسان العرب لابن منظور: أن كلمة صوف تطلق على الضأن وما أشبهه وهي للغنم وغيرها[2].

وقال الجوهري : التصوف للشاة، والصوفة أخص منه [3]. وصوفة أبو حي طابخة بن الياس، بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية[4]، كما أن لبس الصوف، كان شعارا للمتنسكين والمساكين، وهذا دأب الأنبياء عليهم السلام، وشعار الأولياء والأصفياء، وهذا تميزا لهم.

وهم يستدلون بالحواريين أتباع المسيح عليه السلام، كانوا يلبسون البياض، فنسبهم الله إلى ذلك، وكذا الحال بالنسبة للصوفية[5]، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[6].

---

[1]إحسان الهي ظهير، التصوف- المنشأ والمصدر-، ط1، دار السنة، باكستان، 1936، ص20.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، مج4، ص2527.

[3]الجوهري، المصدر السابق، ج4، ص 1388.

[4]ابن منظور، المصدر السابق، ص 2528.

[5]الطوسي، المصدر السابق، ص29.

[6]سورة الصف، الاية14.

وصفهم بعضهم فقالوا: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم كلام الخرقى. وأهل الشام سموهم جوعية: لأنهم ينالون من الطعام إلا القليل، ومن تخليهم عن الأملاك سموا فقراء[1].

في حين يرى بعضهم: أن نسبهم إلى أهل الصفة، هو غلط، فلو كان ذلك لقيل صفي. وقيل: نسبة إلى الصفوة ممن خلق الله، وهو غلط، فلو كان ذلك لقيل صفوي[2]. وقال أبو نصر سراح: كان في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك، فقيل صوفي، وقال أبو الحسن الكناد: هو مأخوذ من الصفاء[3].وقيل: سموا صوفية من زيهم، لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس، أي: ستر العورة فقط،فهم تركوا الدنيا وهاجروا الأوطان والأخدان، وأجاعوا الأكباد، لم يأخذوا شيئا من الدنيا[4].

وقال القشيري: هو من الصفاء، لأن: الصفاء محمود بكل لسان، وضده الكدورة، مذمومة فيقال: للرجل صوفي، وللجماعة صوفية[5].

1-2- اصطلاحا:

قال ابن خلدون: علم التصوف، اختصر بطائفة المقبلين على العبادة، وعمومه بين الصحابة والتابعين[6]، وهو يعني عزوف النفس عن الدنيا، والعكوف عن العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها[7].

---

[1]إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص 11-12.

[2]ابن تيمية، فقه التصوف، تح: زهير شفيق الكبي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1993، ص11.

[3]إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص20.

[4]إحسان الهي ظهير، المرجع نفسه، ص21.

[5]القشيري، الرسالة القشيرية، تح: معروف مصطفى، ط1، دار الفكر، بيروت، 2001، ص279.

[6]ابن خلدون، المصدر السابق، ص1314.

[7]طاهر بونابي، التصوف في الجزائر، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص34.

وقال الجنيد: التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة[1].

وقال سحنون رحمة الله: هو أن لا تملك شيئا، ولا يملكك شيئا [2]، ويرجع هذا الاختلاف في التعريفات إلى عدة عوامل منها:

- ✓ اخلاف أذواق الصوفية ومشاربها، خاصة من تناولوا التصوف بالشرح والتعريف .
- ✓ اختلاف المراحل التي مر بها التصوف، والصوفية، واختلاف بيئاتهم[3].

2-ظهوره:

إن ظهور التصوف فيه خلاف أيضا، بين من يهتم بهذا العلم، في حين تتحدث بعض الروايات: عن ظهور التصوف، خلال العصر الجاهلي، بينما تجمع جل المصادر المتعلقة بالتصوف، على أن ظهوره كان قبل أن تكتمل المائة الثانية للهجرة لأن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، كانوا يعرفون بالصحابة والتابعين، ثم تابعي التابعين، وقد بدأ التصوف عندهم: في حركة زهدية [4].

في حين يرى البعض الأخر: أن الزهد والورع، ظهر منذ القديم، قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان الصوفية يسمون بالحنفاء، وقد ذكروا في القرآن الكريم، ووصف إبراهيم عليه السلام بالحنيف[5]،قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[6]

---

[1]إحسان الهي ظهير، المرجع السابق، ص22-23.

[2]أبو السراج الطوسي، المصدر السابق، ص45.

[3]عبد الفتاح محمد سيد أحمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، ط، 1 دار الوفاء، مصر، 2000، ص 15.

[4]بونابي، المرجع السابق، ص 36.

[5]يونس خالد، التصوف قلب الإسلام، ط1، دار الجبل، بيروت، 2005، ص50.

[6]سورة البينة، الاية5.

فقد كانت النسبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام، فيقال: مؤمن ومسلم، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، وخدمة الله تعالى عند البيت الحرام، وأول رجل فعل ذلك هو: صوفة، واسمه: الغوث بن مر، فانتسبوا إليه[1].

ومما سبق يمكن القول: أن هناك اتجاهين لمنشأ التصوف (كلمة صوفي)، اتجاه يرى: أنها كانت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بل و قبله، واتجاه يرى: أنها لم تعرف إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة.

وانطلاقا من المائة الثانية للهجرة، الثامنة ميلادي، إلى المائة السابعة للهجرة، الثالث عشر ميلادي تطور التصوف إلى علم، ونظام شديد في العبادة [2]،وستهب عليه رياح وموجات، مثل: الفلسفة وتخرجه على منحاه المستقيم.

ثالثا: علاقة الفقه بالتصوف

بعد تطرقنا للفقه من جهة، والتصوف من جهة أخرى، والوقوف على خاصية كل منهما، نجد أنفسنا في حاجة ماسة إلى معرفة ما يربط بينهما، وفي هذا السياق يقول صاحب كتاب اللّمع: أن الحسن البصري رحمه الله قيل له: فلان فقيه، فقال: هل رأيت فقهيا قط ؟، إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾"[3]، فالدين يشمل جميع الأحكام، ظاهر وباطنا [4].

[1]ابن الجوزي، تلبيس إبليس، تح: أحمد جار، ط1، دار الغد الجديد، مصر، 2005، ص145.

[2]بونابي، المرجع السابق، ص 38.

[3]سورة التوبة، الآية 123.

[4]أبو السراج الطوسي، المصدر السابق، ص 36.

وهذا التداخل بين الفقه والتصوف، ظهر بوضوح في كثير من كتب علماء الصوفية، في سياق بيانهم لحقيقة التصوف، مثل الجنيد يقول: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة وعليه :

علم التصوف: يهدف إلى إصلاح الباطن، ويطهره، بينما يعنى الفقه: بضبط الجوارح[1].

ومما سبق يمكن القول: أن الفقه في اللغة يأتي بمعنى الفهم، والعلم، والفطنة، أما اصطلاحا، فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية، من أدلتها التفصيلية، بالاستنباط من المصادر الأساسية: القرآن الكريم، السنة النبوية، الإجماع، القياس أما التصوف فله عدة معاني وتعريفات ففي اللغة ينسب إلى الصفاء أما في الاصطلاح فهو الإعراض عن الدنيا والانقطاع إلى الله.

كما يمكن القول: أنه توجد هناك علاقة تكاملية بين الفقه والتصوف، فهما وجهان لعملة واحدة، وجهها الأول الفقه، والثاني التصوف، فإذا تمزقت ذهبا معا، وإذا حفظت بقيا معا.

[1] حسن علي عكاشة، علاقة التوازن والتكامل بين الفقه والتصوف، دار الكتب الحديثة، مصر، (د، ت)، ص 30-37-38.

الفصل الأول:

تجربة أبي مدين في التوفيق بين الفقه والتصوف

أولا: البعد الفقهي في تجربة أبي مدين شعيب

ثانيا: الحضور الصوفي في تجربة أبي مدين شعيب

ثالثا: تأثير الرحلة في تكوين شخصية أبي مدين شعيب

تمهيد:

قبل الحديث عن الحضور الفقهي في شخصية أبي مدين شعيب، تجدر الإشارة إلى أن: شخصيته متميزة وفريدة من نوعها، نظرا لتعدد مشاربها، وكثرة تنقلاتها وترحلها في شتى أصقاع الأرض، مشارقا ومغاربا وأندلسا، مما جعلها (شخصيته) محل اختلاف وجدل بين المؤلفين والمفكرين، نظرا لما لعبته من دور علمي وثقافي وتعبدي، خاصة في الغرب الإسلامي، الذي كان أهم محطة في تاريخه، وبالخصوص حظيرة بجاية مما جعلنا نفرد له ترجمة خاصة، طارحين مجموعة من التساؤلات: فيما تمثلت شخصيته في جانبها الفقهي والصوفي؟

أولا: البعد الفقهي في تجربة أبي مدين شعيب

يعتبر أبو مدين شعيب الغوث التلمساني، فقيه الأولياء، وعمدة الأتقياء[1]، ترجم له العديد من الباحثين عبر التاريخ، فبعد مغادرته الأندلس نزل بمدينة فأس، ولزم جامعها، وتعلم الوضوء والصلاة[2].

[1]أصله من حصن قطيانة، من عمل اشبيلية، نزل ببجاية وأقام بها إلى أن أمر بأشخاصه إلى حضرة مراكش، فمات وهو متوجه إليها في تلمسان.أنظر: أحمد التادلي الصومعي ، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تح : علي الجاوي ، ط1 ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، 1996 م، ص 137-138 ، وترجمة له ابن الزيات في التشوف، ص 319 ، وابن فنقذ في انس الفقير ، ص 11.

[2]كان يتيما فجعله إخوته راعيا لمواشيهم ، فإذا رأى من يصلي أو يقرأ أعجبه فأقترب منه، فقويت عزيمته على الفرار، لتعلم القراءة والصلاة ، ففر فأرجعه أخوه، ثم فر مرة أخرى فأراد أخوه ضربه بالسيف فتصدى له أبو بومدين بالعصا فانكسر السيف، فلما رأى أخوه ذلك قال له: إذهب حيث شئت. أنظر: ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد توفيق، ط2 ، دار الرباط ، الرباط ، 1997 ، ص 320. والقصة يوردها صاحب كتاب: المعزى، ص 139، وابن قنفذ، ص 15.

كما كان يجلس إلى حلق الفقهاء، فلا يثبت على شيء من كلامهم، ما عدا الفقيه ابن حرزهم[1]، كما سمع كتاب سنن الترمذي وتعلمه على يد الشيخ أبي الحسن علي بن غالب[2]، كانت ترد عليه المسائل في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها، أو حتى تلك المسائل التي يعجز الفقهاء عن حلها [3]، وقد وقع نزاع بين طلبته في احد الأيام حول حديث النبي صلى الله عليه وسلم: إذا مات المؤمن أعطي نصف جنته، فتردد الكلام بهم في أن: مؤمنين إذا ماتا استحقا الجنة، فساروا إلى مجلس الشيخ رضي الله عنه فقال: إذا مات المؤمن أعطي نصف جنته، وإذا كان الحشر يعطى النصف الثاني من جنته، وبعد البعث تكتمل جنته، ففي القبر يعطى نصف جنته، وبين انه يكشف له في القبر عن مقعده في الجنة وانه يتنعم برؤيتها [4].

ومما يظهر فقهه رضي الله عنه: انه قرأ سورة الفاتحة على الأوجه (الحروف السبعة)، حتى ختمها[5]، كما فسر بعض الآيات من سورة يوسف تظهر تضلعه وتبحره الكبير في هذا الباب (الفقه)[6] فلما تتمعن فيها لأول مرة تدهش بتفسيره.

ومن المسائل التي تظهر فقهه، لما شرح للرجل الذي جاءه مسألة إعادة الصلاة فقال: صلينا الصبح بغداد، وقدمنا مكة فوجدناهم في صلاة الصبح فأعدنا معهم، وجلسنا حتى صلينا الظهر، واتينا القدس، فوجدناهم في الظهر فقال لي

---

[1]ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تح : محمد بن شنب ، ط1 ، المدرسة الثعالبية، الجزائر، 1908 ، ص 55، وذكرها التنبكتي، ص 593، والمقري، ص 137.

[2]أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ط1، دار المنصورة ، الرباط، 1973، ص 140، وذكرها:التادلي، ص 322.

[3]أحمد التادلي الصومعي، المصدر السابق، ص 159.

[4]الغبريني، عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، ط2 ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1989 م ، ص 26 ، وذكرها ابن مريم ، ص 58، وابن قنفذ ، ص 17، والصومعي، ص 162.

[5]المعزى، المصدر السابق، ص 145.

[6]محمد بن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تح : محمد مسعود جبران، ط2 ، دار الدعوة الإسلامية ، طرابلس، 2008، ص 74 – 75 – 76.

صاحبي: نعيد معهم، فقلت:لا، فقال الشيخ أبو مدين: إعادة الصلاة بمكة لأنها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أولا من علم اليقين[1]، وما صلي في الأمهات لا يعاد في البنات [2]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[3].

كما انه خاض في مسألة أهل الجنة يدخلونها بفضل الله، وأهل النار يدخلونها بعدله، وينزلون فيها بالأعمال ويخلدون فيها بالنيات[4].

كما كان أخر كلامه:الله الحي، الله الحق، حتى رق صوته [5] ، ومما يظهر فقهه، شرحه لجماعة من الفقهاء كيف أن أبا يعزى يلمس بطون النساء، ويتفل عليهن فيبر أن رغم أن لمسهن حرام [6].

ومما يظهر فقه أبي مدين بعض أقواله، منها ما ذكرها صاحب الدراية في كتابه، "من رأيته يدعي مع الله حالا لا يكون على ظاهره شاهد فاحذروه"[7]، ومعنى كلمة ظاهر أي: أعمال ظاهرة مثل الصوم، الصلاة وهي تعكس جوانب فقهية.

---

[1]النبهاني ، جامع كرامات الأولياء ، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، دار بركات رضا فور بندر، الهند، 2001 ، ج2، ص 120 ، والقصة يوردها المقرى، ج7، ص 141، والتنبكتي، نيل الابتهاج ، 197.

[2]التميمي، المستفاد ، تح: محمد الشريف، ط1، كلية العلوم الإنسانية، تطوان ، 2002، ص 45.

[3]سورة ألعمران، الآية96.

[4]ابن عربي، الفتوحات المكية ، تح: أحمد شمس الدين، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999، مج4 ، ص 415.

[5]المقري، نفع الطيب، تح:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج7، ص 137، وذكرها ابن الآبار الآبار في كتابه التكملة، ص 109، وابن عبد الملك، الذيل والتكملة ، ص 130.

[6]التادلي، المصدر السابق، ص 323.

[7]الغبريني، المصدر السابق، ص 30، " له عدة أقوال أخرى تدل على جانبه الفقهي ".

ثانيا: الحضور الصوفي في تجربة أبي مدين شعيب

بعد تطرقنا للجانب الفقهي، سنحاول في هذا المبحث تتبع الحضور الصوفي في شخصية أبي مدين فهو شيخ العارفين، وقدوة السالكين.

إمام الزهاد والعباد[1]، وشيخ الصوفية [2]، تخرج على يده ألف من التلاميذ كل له كرامة [3]. كان مقبوضا بالعلم خاصة مقام التوكل، الذي لا يضاهيه فيه أحد[4].

استقر في فاس بعد رحيله، وأخذ التصوف على عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي ، وكان إذا سمع حديثا نفع به وخرج للعمل به [5].

وقد كان كثيرا ما يسمع بأبي يعزى يلنور ت (572هـ-1176م)، فذهب لزيارته بجبال ابروجان، وهناك مارس تجربته في تطهير النفس [6]، كما انه سمع رعاية المحاسبي وإحياء علوم الدين بفاس [7].

---

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص13 وذكرها التميمي، ص42، والتادلي، ص319، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، ج8، ص317، وقال الذهبي في سيره:أصله من أعمال اشبيلية، من حصن منتوجب، كبير الصوفية والعارفين في عصره ، منقطع القرين في العبادة والنسك، ج12، ص923.

[2]ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تح:إحسان عباس، دار الثقافة ، لبنان ، (د، ت) ، ج4 ، ص 129.

[3]ابن مريم، المصدر السابق، ص 56.

[4]أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج ، تح ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1 ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989 ، ج 1، ص 193.

[5]وكان أثناء خروجه، تأتيه الغزالة والكلاب، والقصة يوردها: ابن الزيات، ص 322 ، وابن مريم، ص 109.

[6]وهناك قصة لما مرغ أبو مدين وجهه في مكان أبو يعزى، ففقد بصره، أنظر: ابن عربي، ج7، ص 74.

[7]بونابي، المرجع السابق، ص 120.

وبعدما أكمل تجربته على هؤلاء الأفظاظ، تحول إلى المشرق، حيث تلقى تعاليم كبار شيوخ الصوفية مثل الجنيد والقشيري والغزالي[1] ، والتقى بعبد القادر الجيلاني ت (560هـ- 1165م) في الحرم الشريف، والبسه الخرقة [2].

وقد روى أبو الحسن ابن محمد الغافقي، أن أبا مدين كان يصلي المغرب مع عمر الصباغ، فلما سلما قال الصباغ: رأيت في الصلاة ثلاثا من الحور العين أو أربعة فقال أبو مدين:أعد صلاتك، فإن المصلي يناجي ربه، وأنت إنما ناجيت الحور العين[3].

وقد نقل بعضهم: أن هناك رجل جاء يقتبس من أنوار الشيخ رضي الله عنه فقال له: ما في كمك؟ قال مصحف، فقال له أبو مدين: أخرجه، واقرأ أول سطر، فإذا فيه " الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين " فقال أبو مدين أما يكفيك هذا [4].

وله مجلس وعظ يتكلم فيه، فيجتمع عليه الناس من كل جهة وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف لتسمع، وكثيرا ما يموت في مجلسه أهل الحب [5].

ومن كراماته أن أسدا افترس حمارا وكان هذا الحمار لرجل فقير...، فأمسك أبو مدين الأسد وأعطاه للفقير مكان حماره وقال له:اذهب ولا تعد، متى آذيتم بني أدم سلطتهم عليكم[6].

---

[1]روبار برتشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط2 ، ص 332.

[2]الصومعي، المصدر السابق، ص 143.

[3]التادلي، المصدر السابق، ص 326، وذكرها بن عبد الملك ، ص 128، ابن قنفذ، ص 38.

[4]المقري، المصدر السابق، ج7 ، ص 140، وذكرها التنبكتي، ص 196، والصومعي، ص 143.

[5]ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 108.

[6]أحمد بابا التنبكتي، كناية المحتاج، تح: محمد مطيع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الرباط، 2000، ج1 ، ص 219.

وقد أسره العدو يوما، فلما ركب في السفينة توقفت، فقال بعضهم أنزلوه لعله من أهل السرائر، فقال أبو مدين: لا أنزل حتى يهبط الجميع، فأطلقوا سراح الكل وسارت السفينة[1]، وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن الكريم، خاصة سورة الملك فظهرت له معالم العلى، وتجلى من مواهب الله بأحسن الحلى، وكان يقول لو تعديتها لا احترقت[2].

وقد اختلف في مجلسه هل الخضر نبي أم ولي؟ فرأى رجل صالح النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الخضر نبي وأبو مدين ولي [3].

فسر التوحيد بلا إله إلا أنا[4]، وصلى صاحبه ركعتين بعد الفراغ من الطعام [5]، [5]، ومما يروي عليه رضي الله عنه، أن القحط أصاب بلاد المغرب سنة، وأحبس المطر فأتى الناس أبا مدين ليسقي لهم فخرج يقول:

يَا مَنْ يَغِيْثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا اِرْحَمْ عَبِيْدًا أَكَفُ الفَقْرَ قَدْ بَسَطُوا

واسْتَنْزَلُوا جُودَكَ المَعْهُودَ فَاسْقِهِم رَيًا تَرْوِيْهِمْ رِضًا مَا شَأْنُهُ سَخَطُ

ولما يزل يرددها، حتى نزل المطر وكانت هذه السنة أخصب عام[6].

وله كرامات كثيرة وقصص عجيبة لما تطلع عليها كأنك تعيش في الأوهام: أو الأحلام، ونذكر منها على سبيل الحصر:

---

[1]ابن مريم، المصدر السابق، ص 112.

[2]الغبريبي، المصدر السابق، ص 25.

[3]المقري، المصدر السابق، ج7، ص 139.

[4]الصومعي، المصدر السابق، ص 148.

[5]ابن عربي، المصدر السابق، ج8، ص 294.كما يذكر أن أبا مدين كان يحرص على الذكر والتوحيد.

[6]ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج8، ص 214.

قصة العسل الذي أكل منه الحاضرون خمسا وعشرين يوما دون أن ينقص منه شيء[1]، وقد سافر مرة مع جماعة نزلوا في الصحراء، فسمعوا بالليل صوتا فخافوا وتمنوا ضوءا، فصلى رضي الله عنه تحت شجرة، ودعا فأضاءت الشجرة، حتى أشرق الموضع كله[2].

وقد سمع الله في المنام يقول له: لكل ذات مرآة، قلت: نعم قال: فمن مرآتي أنا إذن؟ قال: أنا، قال: صدقت[3]، وبينما هو يمشي يوما دخل على عجوز في مغارة، فلما جاء ابنها قدمت له الطعام...، فقال: لو كان هذا...، فقال الشيخ: سمي الله وكل...، فوجد ما تمنى[4].

ولم يمت رضي الله عنه حتى تقطب ، والقطيبة للعارف هي منتهى مناله وغاية أماله[5]، وهناك قصة يرويها النبهاني، حول الحرب بين المسلمين والفرنج...، وكان معهم أبو مدين يحمل سيفا...، فأصبح بين يديه خناجير...[6]، وهناك قصة يوردها ابن الزيات، عن الرجل الذي رآه مع جماعة من المتصوفة منهم أبو حامد وأبو طالب[7].

ونقل عبد الرحيم المغربي عن أبي مدين، أنه سمعه يقول: أو قفني ربي عز وجل بين يديه وقال: له طوبى لمن رآك أو رأى من أراك [8].

---

[1] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 39.كما يذكر أنه: كان متجملا في ملبسه.

[2] النبهاني، المرجع السابق، ص 117.

[3] محمد بن الطواح، المصدر السابق، 74.

[4] النبهاني، المرجع السابق، ص 119.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص 23.

[6] النبهاني، المرجع السابق، ص 117.

[7] التادلي، المصدر السابق، ص 326.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص 110.

وهذا يظهر: أن أبا مدين متأثر بالغزالي لذلك حشر معه، لان العبد يحشر يوم القيامة يحشر مع من يحب.

ومما سبق يمكن القول: أن المصادر تختلف حول شخصية أبي مدين شعيب، وعلى هذا الأساس قمنا بتصنيفها إلى: مصادر متقدمة ومتأخرة ، مشرقية ومغربية ، وأندلسية ولاحظنا مجموعة من النقاط وهي:

- ✓ أن المتقدمين في حد ذاتهم مختلفون حول شخصية أبي مدين، فهم يرون عنه أشياء مختلفة، فمثلا التميمي ت(603هـ)، يختلف عن ابن الزيات ت (627هـ)، في إفادته، كما أن المتقدمين يختلفون عن المتأخرين.
- ✓ أن المشارقة يختلفون عن المغاربة كثيرا، فمثلا ما نقله ابن فضل الله العمري ت(749هـ)، يختلف كل الاختلاف عما رواه المغاربة.
- ✓ أن المصادر المغربية في حد ذاتها مختلفة، فهناك من يورد قصصا وكرامات لا توجد عند أقرأنه من المغاربة والأندلسيين.

ومما تجدر الإشارة إليه هو: اختلاف المصادر حول الرحلة المشرقية، فهناك من يحاول إظهار هذا الجانب، وأنه التقى مع الجيلاني، وهناك من يطبق الصمت نهائيا، كما لا ننسى أن هناك مصادر تحاول إظهار الجانب الفقهي، وأخرى تحاول إظهار الجانب الصوفي، وعلى هذا الأساس نطرح مجموعة من التساؤلات : لماذا هذا الإختلاف ؟ ما الهدف من إثبات الرحلة المشرقية أو نفيها؟ وعليه قمنا باستعمال ثلاث ملاحق:

- ➢ أبو مدين شعيب فقيها.
- ➢ أبو مدين شعيب صوفيا.
- ➢ إفادات متفردة عن أبي مدين.

ثالثا: تأثير الرحلة في تكوين شخصية أبي مدين شعيب

بعدما تطرقت الدراسة إلى الجانب الفقهي، والصوفي كل على حدا من شخصية أبي مدين شعيب، التي تعتبر في نظري فريدة من نوعها، نظرا لتنوعها المعرفي، سنحاول في هذا المبحث إظهار تأثير شيوخه وعملهم في صقل شخصيته، باعتباره درس في أماكن مختلفة على شيوخ أفظاظ، نهل عن كل واحد منهم ميزة، واخذ من أدبه وعلمه وكيف استطاع تكييف ما درسه في شخصيته؟ بمعنى آخر: هل أثرت الرحلة في تكوين شخصية أبي مدين؟ أم جعلته منغلقا في توجهاته واختياراته المستقبلية؟، وهل أثرت هذه الشخصية في تلامذته بعده؟.

عزيمة أبي مدين شعيب بعدما قويت على الرحيل من الأندلس لتعلم الصلاة والقرآن[1]، نزل في رحاب عدة حواضر من المغرب الأقصى، وسبتة ومراكش وفأس[2]، وأخذ عن شيوخها كما اشرنا لذلك سابقا أمثال إبن حرزهم، أبويعزى وغيرهم[3]، رحل إلى إلى المشرق لينهل من علمها وعلمائها، والتقى بالجيلاني ت(560 هـ / 1165 م) في الحرم الشريف، وألبسه الخرقة[4]، كما كانت له فرصة كبيرة في الإطلاع على نظريات وتعاليم كبار الصوفية[5]، بهذا جمع أبو مدين أفكار المدارس الصوفية، فاستفاد من المغاربة من خلال: أن كشف أسرار الملكوت لا يتم تحقيقه إلا بالمجاهدات والمشقة

[1] التادلي، المصدر السابق، ص 320.

[2] بونابي، المرجع السابق، ص120.

[3] التادلي، المصدر السابق، ص 320.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص108.وذكرها الصومعي في المعزى، ص143.

[5] الغبريني، المصدر السابق، ص 26.

وهنا نعترض في هذه الفكرة، لأن الدين الإسلامي دين يسر وليس دين عسر مصداقا لقوله عز وجل:﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1] لذلك أوجد الإسلام الرخص والعزائم .

كما تأثر مشرقا بمصنفات المحاسبي والقشيري والغزالي في حين أثرت فيه المدرسة الأندلسية التي تعكسها آراء إبن العريف في الزهد[2]، لذلك لما نزل أبو مدين شعيب في بجاية أيام المنصور ت (580 هـ / 1184 م)، وبدأ بنشر تعليمه مزج بين التصوف المغربي والنظريات الصوفية الشرقية والأندلسية[3]، لكنه ثارعلى أسلوب المجاهدات النفسية القاسية وهذا ما يعكس شخصيته وأثره في الجانب الفقهي والصوفي وقد كانت له أقوال وحكم تعكس ذلك منها :

- ✓ من رأيته يدعي مع الله حالا لا يكون ظاهره منه شاهد فاحذروه بمعنى: أن الظاهر يمثل الجانب الفقهي مثل: الصلاة والخلق الحسن والباطن هوالتصوف .
- ✓ لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن جمعت له أربعة أشياء: الزهد – العلم – اليقين – التوكل[4].
- ✓ من عرف الله استفاد منه في اليقظة والعلم .
- ✓ وقال أيضا إجعل الصبر زادك والرضى مطيتك والحق مقصدك ووجهتك[5] ووجهتك[5] .ومن أبرز أقواله في الزهد:
- ✓ الملتفت إلى الكرامة كعابد الأوثان، فإنه إنما يصلي ليرى كرامة[1] .

---

[1]سورة البقرة، الاية185.

[2]بونابي، المرجع السابق، ص 121.

[3]محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، المكتبة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ج1، ص169.

[4]التوكل مقام شريف وقد أمر الله به وجعله مقرونا بالإيمان لقوله تعالى" وعلى الله فليتوكل المؤمنون" وله ثلاثة شروط هي طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة، أنظر: السيراج الطوسي ، المصدر السابق، ص78.

[5]الغبريني، المصدر السابق، ص 30-31.

✓ وقال: الشيخ من هذبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه، والأخلاق تعكس: الظاهر.

✓ الحق تعالى مطلع السرائر أي: الباطن، والضمائر، في كل نفس فأي قلب رآه مؤثرا حفظه من الطوارق، والمحن وفضلات الفتن[2] .

وبهذا جمع أبو مدين شعيب بين النظريات الصوفية المشرقية، والمغربية والأندلسية، وجعلها في متناول المستمعين، وبواسطته أصبح التصوف المعتدل في عقلية المؤمن المغربي متلائما، واكتسى صبغة وسطى بين التدين الهادئ، والتحمس المفرط مما جعله أكثر جاذبية [3].

ولعل ابرز عامل جعل الطريقة أبي مدين ترتفع إلى مستوى أخلاقي وفكري: هوالتزامها بالقران والسنة وعلم الحديث، لأنه كان حافظا لجامع الترمذي[4]، إضافة إلى إجابته في المسائل التي يعجز عنها الفقهاء، وتوظيفه للكرامة الصوفية في حل المسائل التي تعرض عليه[5]

وبهذا التلون الفكري والترحال المضني، جمع أبو مدين شعيب بين هذه النظريات التي اختلطت جذورها المدلية، لتعطي في أعلاها أزهارا مثمرة أضفت بعدا أخر ورؤية جديدة ثاقبة لتصوف أبي مدين، مما جعله مقصودا من مشارق الأرض

---

[1]التادلي، المصدر السابق، ص 323.

[2]التنبكتي، المصدر السابق، ص 198.

[3]برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 334.

[4]ابن مريم، المصدر السابق، ص 108.

[5]الكرامة هي خرق العادة، على غير المألوف الطبيعي فهي تدخل في باب المعجزات كطي المكان، أي الانتقال من مكان إلى أخر أو المشي على الماء، أنظر الحسن الشرقاوي، معجم الألفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار، القاهرة، 1998، ص204.

ومن بينها قصة الكاتب الذي أصبح خياطا، أنظر:الغبريني، ص27-28.

ومغاربها، وجعل الناس يلتفون حوله، وكثرت تلامذته ومؤيدوه، وبعد وفاته عام 594هـ واصل تلامذته نشر أفكاره في عدة أقطار مختلفة لعل اغلبها افريقية والمغرب الأقصى والأندلس.

الفصل الثاني:

التوافق بين الحقيقة والشريعة عند تلامذة أبي مدين

أولا: المجموعة الأولى بإفريقية

ثانيا: المجموعة الثانية ببجاية وتلمسان

ثالثا: المجموعة الثالثة بالمغرب الأقصى

رابعا: المجموعة الرابعة بالأندلس

تمهيد:

قبل الحديث عن تلاميذ أبي مدين شُّعيب، تجدر الإشارة إلى انه يمكن تصنيفهم إلى أربع مجموعات:

- ✓ **المجموعة الأولى:** اختارت بجاية لنشاطها الصوفي، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي القلعي (ت 628هـ)، ومحمد بن إبراهيم الأنصاري كانوا يقيمون مع تلامذة أبي مدين، و يؤدون أورادهم برابطة الزيات، وقد أخذت هذه المجموعة آراءه و طريقته التربوية.
- ✓ **المجموعة الثانية:** خدمت أبا مدين في حياته، و بعد وفاته عملت على نشر طريقته منذ (6هـ/12م)، ومن هؤلاء بلال ابن عبد الله الحبشي (ت 590هـ/1194م).
- ✓ **المجموعة الثالثة:** تمدرست على يد أبي مدين، و عادت إلى مسقط رأسها وشرعت في نشر تعاليمه، و من بين هؤلاء أبو مسعود بن عريف، الذي استقر بالشلف و عكف على التعبد و تعليم المريدين.
- ✓ **المجموعة الرابعة:** هم الصوفية الذين عاصروا أبا مدين، ولم يتمدرسوا عليه، ولكنهم تأثروا به ومن بينهم أبو مروان الفحصيلي[1] .

وعلى هذا الأساس يمكن القول: أن تلامذة أبي مدين شعيب الذين درسوا عليه، و استفادوا من علمه، و نشروا طريقته، و نهلوا من أخلاقه كثيرون، سواء الذين احتكوا به، أو تأثروا به، أو درسوا عنده، و على هذا النحو: حاولنا تتبع هؤلاء التلاميذ و تقسيمهم إلى أربعة مجموعات: الأولى نشرت تعاليم مدرسته بافريقية، والثانية نشرت

[1] بونابي، المرجع السابق، ص125-126-127.

تعاليم مدرسته ببجاية و تلمسان، و الثالثة في المغرب الأقصى، في حين اختارت المجموعة الرابعة إقليم الأندلس لنشر تعاليم مدرسته، مع الملاحظة انه يمكن اتخاذ تقسيم ثالث الذي يكون كالأتي: التلاميذ الذين تأثروا بابي مدين شعيب في شخصيته (تجربته)الفقهية، و التلاميذ الذين تأثروا به في جانبه الصوفي.

أولا: المجموعة الأولى بافريقية

1- عبد عزيز بن بكر القرشي المهداوي (ت 621هـ/1224م):

من قدماء تلامذة أبي مدين كان مشهورا بالزهد[1]، و قد كانت بينه و بين أبي مدين رضي الله عنه مكاتبات و مراسلات من بينها لما كتب إلى أبي مدين يقول:

شُعَيْبٌ وَلِيُ الله سِرُ عِبَادِهِ أَبُوُ مَدْيَنَ مُغْنِيُ الأَنَامِ بِفَخْرِهِ

فَيَا جَنَّةَ المَأْوىَ وَيَا عَلَمَ الْهُدىَ وَ يَا نَاشِرَاَ عِلْمَ الإِلَهِ بِأَمْرِهِ

حَضَرْتُ وَلَم تَحْضُرْ وَغِبتُ وَلَم تَغِب وَ مَا كُنتَ فِي كُل بِجَانِبِ طَورِهِ

نُورُك نُورُ الله تَهْدِي لَهُ وَهَل إلى اَحَدٍ فِي النَاسِ إِطفَاءِ نُورِهِ

وهذا دليل على أن: عبد العزيز المهداوي متأثر بأبي مدين شعيب، و متعلق به، و يتخذه قدوة له.

فرد أبو مدين على هذه الرسالة في معنى قوله: توكل على الله حق التوكل، واجعل التقوى عماد قلبك، و جلاء بصرك، إن كنت تريد الدنيا فلا سلام عليك، و إن كنت تريد الآخرة فسلامك قد بلغني ثم قال:

لَولاَ هُدَاكُم لَكَانَ النَاسُ فِي عَمَهْ لاَيَهْتَدُونَ إِلىَ عِلمٍ وَلاَ عَمَلٍ

لَكُم سَجَايَا وَ أَخْلاَقِ مُطَهَرَّةٌ حُمِدْنَّ فِي مِلَةِ الإِسْلاَم وَالمِلَلِ[1]

[1] برنشفيك، المرجع السابق، ص337.

وهذا يعني أن عبد العزيز المهداوي كان يقوم بنشر طريقة أبي مدين، خاصة ما تعلق بالمجاهدات ، كما أن أبا مدين كان مقتنعا بعمل المهداوي.

2-الدهماني:

له جذور عربية بدوية، تعود لدهمان من بني رياح الهلالية، لعب دورا طلائعيا في تطوير التصوف، لأنه كان ضمن النخبة الأولى التي رحلت إلى بجاية، و التقت بابي مدين شعيب سنة (575هـ/1179م)، وكان شيخه في التصوف و السلوك[2]، وما يميز الدهماني عن غيره أنه: قدم الفكر الصوفي المديني لتلاميذته بطريقة تعليمية تربوية[3].

فقد كان كثير المجاهدات و التصدق حتى قيل انه مكث اثني عشر سنة لا يجلس متوجها إلا للقبلة، كان كثير المحافظة على السنة و يعقد الحلق، و كان كثير الذكر مداوما عليه و له عدة أقوال منها :

لا يكون الشيخ شيخا حتى يكون له شيئا من علم ظاهر و باطن، وكان يقول شيخي في التصوف و السلوك أبو مدين [4].

3-أبو علي النفطي:

---

[1] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص98-99.

[2] الدباغ، الأصرار الجلية، تح: عبد الكريم الشبلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2015، ص38-62 كان الدهماني يحب ركوب الخيل، وأثناء إحدى جولاته تأثر بولي صالح فاعتنق العقيدة الإسلامية، وتفرغ لدراسة العلوم الدينية والروحية، وبعدها تكون في الفقه والحديث، وما لبث إلى أن مال إلى التصوف، و أصبح من أتباع أبي مدين، وقد سافر إلى بجاية للالتقاء به، ثم زاول دروس شيوخ التصوف في المشرق، أثناء قيامه بمناسك الحج.أنظر برنشفيك، ص336.

[3] بونابي، المرجع السابق، ص278-279.

[4] الدباغ، المرجع السابق، ص76-100.

من منطقة الجريد بتونس، كان يعيش حوالي 1200م، و أصبح مركزا لطريقة صوفية مهمة[1]، حيث تصوف وفقا لتعاليم المدينية، و أنكر قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة الإلهية، منبها على أن تطهير القلب هو السبيل المضفي إلى ذلك، و اعتبر حقيقة التصوف أن تسلم كلك لله، كما شدد على الالتزام بالسنة[2]، لذلك يعزى إليه إجلاء الخوارج من واحة الجريد، و كانت تربطه علاقة ودية بالقطب أبي يوسف يعقوب ثابت الدهماني[3].

4-أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي (ت 628هـ/1230م):

دفن في المنطقة الواقعة بين قرطا جنة و المرسى كان ينشر تعاليم الصوفية لدى سكان تونس و ضواحيها[4]، و هو من أولياء الله الصالحين و أرباب الأحوال كما كان متدينا خيرا فاضلا موقرا، وورعا كثير البكاء في الصلاة، و قراءة القران، و كان يلازم مسجده، صحب الشيخ أبا مدين، وكان بينه و بين عبد العزيز تزاور و تشاور، له كلام كثير في التوحيد[5]، فكانت جل دروسه تدور حول علاقة التصوف بالتوحيد[6].

5-سالم التباسي (ت 672هـ/1274م):

قلد أبا مدين في الكتاب و السنة، والدعوة إلى التوحيد، لكنه خالف أبا مدين في السكر الذي ينتاب أصحاب الأحوال، واعتبرها عبادة تعكس فناءه في محبة الفاني[7].

---

[1]برنشفيك، المرجع السابق، ص336.

[5]بونابي، المرجع السابق، ص277-278.

[3]برنشفيك، المرجع السابق، ص336.

[4]نفسه، ص337.

[5]الهواري، مناقب أبي سعيد الباجي، تح: أحمد البخاري، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2004، ص63.

[6]بونابي، المرجع السابق، ص278.

[7]نفسه، ص278.

فهو لم يكن شخصية صوفية فقط، بل مثل احد أعلام التصوف الإفريقي في النصف الأول من القرن(7هـ/13م)، و هو الجد المؤسس لعائلة صوفية بزغ نجمها في القرن (9هـ/15م)، وصف بأنه جبل الرأس[1]، كما كان يساعد الفقراء و يحب المساجد و الذكر و له أدعية مأثورة[2] .

6-الشيخ طاهر المزوغي (ت 646هـ/1248م):

كان نشاطه الكبير في سوسة، لقن خلالها الطلاب تعاليم المدينية[3]، و يشير صاحب كتاب شجرة النور الزكية إلى أن: المزوغي اخذ عن أبي مدين و انتفع به توفي بالساف (646هـ)[4].

ثانيا: المجموعة الثانية ببجاية وتلمسان

1-أبو بكر ابن مرزوق:

أشتهر بقراءة الفقه و الحديث، و قراءة القران، ثم انشغل أخيرا يكتب و يحرر في التصوف، و بعدها انقطع و تخلى للعبادة، حيث كان بعد صلاة الفجر يقرا الحديث، كما انه كان معطاء يلبس أحسن الثياب و البياض، متقشفا في مأكله كثير الصيام[5]، وهذا يعني انه: كان كثير المجاهدات.

حيث تلقى المدينية عن الشيخين أبي العباس المغربي، و أبي محمد صالح، لذا كان له نفس أسلوب أبي مدين شعيب في تربية المريدين، فضلا على كونه عالما في الفقه والتصوف، فاتخذ من منزله مقرا لجلساته فكان يلقنهم في جلستين، جلسة

---

[1]ابن قنفذ، المصدر السابق، ص98.

[2]ابن الصباغ، مناقب أبي علي سالم التباسي، تح:أحمد الباهي، ط1، دار كونتراست، تونس، 2012، ص15.

[3]بونابي، المرجع السابق، ص178.

[4]محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص170.

[5]محمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، ط1، منشورات دار الأوقاف، المغرب، 2008، ص154-157. كما يذكر أنه: كان يلبس أحسن الثياب من البياض متقشفا في مأكله.

عامة: يحضرها العلماء و الصلحاء و العوام، و يبدؤونها بإقامة الصلاة، ثم يتذاكرون في الحديث والمسائل العقائدية، وبعدها يصلون النوافذ في جو من الإنشاد، و الوعظ طوال الليل.

وجلسة خاصة، تجمعه بخواصه المنقطعين، ولا يسمح لغيرهم بالحضور، يقرؤون فيه أورادهم و يستظهرون كراماتهم[1].

كما يظهر تأثير المدينية فيه من خلال تجمله في ملبسه و تفننه في مأكله، وإكثاره من الصوم و له عكاز الشيخ و المرقعة التي نزعت منه بعد وفاته[2].

2-أبو زكريا يحيى الحسناوي الزواوي:

كان عبدا زاهدا صالحا، ورعا شديد الخوف من الله، كثير المجاهدات[3]، كما كان متضلعا في مختلف العلوم الدينية، صواما قواما، مترفعا عن الأمور الدنيوية، منهمكا في التفكير باليوم الأخر، وكان يدرس في إحدى الزوايا الحديثة أصول الفقه، و توفي وهو يدرس في إحدى هذه الدروس في رمضان سنة (611هـ/1215م)[4].

رابعا: المجموعة الثالثة بالمغرب الأقصى:

1-أبو محمد صالح (ولد سنة 550هـ):

كان شيخه أبو مدين شعيب قدوته، فقد تأثر به في اتخاذ المرقعة رغبة في الاقتصاد، وكان يلازم التسبيح والشاشية، والحلاقة.

---

[1] بونابي، المرجع السابق، ص126-127.

[2] ابن قنفذ، المصدر السابق، ص93-94.

[3] التادلي، المصدر السابق، ص428.

[4] برنشفيك، المرجع السابق، ص335.

كما كانت له أذكار خاصة يعكف عليها بعد صلاة المغرب، ومجموعة من الأوراد يجهرون بقراءتها، كما كان يداوم على صلاة الضحى اظافة إلى الوصال، وهذا دليل:على نوع من المجاهدات.

كما كانت له أدعية عند دخول الخلوات، كان يفتي في بعض المسائل التي تظهر نوعا من فقهه، مثل: لما سئل عن القصر في الصلاة، وله حديث في ركن الحج الذي يظهر مدى تبحره وكثرة اطلاعه[1].

2-عبد الرزاق الجزولي (ت 636هـ/1238م):

تلميذ أبو مدين استقر بالإسكندرية ومات بها، كان من كبار المشايخ لازم أبى مدين مدة طويلة[2]، وقيل لأبي مدين: أن عبد الرزاق يواصل سبعة أيام فقال: "دعوه إن كان كذبا فعقوبته الجوع، وان كان صادقا فسينتفع به[3]، وهذا دليل على نوع من المجاهدات. وقد أدى دورا كبيرا في نشر الفكر المديني الصوفي في المغرب والمشرق، فعلى مستوى المغرب اخذ عنه الصوفي صالح الماجري[4].

خامسا: المجموعة الرابعة بالأندلس:

1-أبو داوود المزاحم (ت 578هـ/1282م):

اتصل بي أبي مدين شعيب بعدما خرج من بلده بني ورترد إلى الأندلس، وتأثر به فلما رجع إلى بلده و تحنث في رابطة على ساحل البحر[5]، وهنا نلاحظ: انه

---

[1]الماجري، المنهاج الواضح، تح:أحمد فريد، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، 2007، ص118-124-149-171-204.

[2]التادلي، المصدر السابق، ص127.

[3]ابن قنفذ، المصدر السابق، ص36.

[4]بونابي، المرجع السابق، ص282.

[5]البادسي، مقصد الشريف، تح:سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص51-52.

تأثر بالمدينية لأن أبى مدين كان يفعل أوراده برابطة الزيات[1]، وله كرامات مطابقة لكرامات أبي مدين مثل قصة أسر العدو[2] .

2-عبد الرحمان الإشبيلي (ت 582هـ/1186م):

كان يجمع بين العلم والزهد، متضلعا في علوم الظاهر والباطن كان يعرف باسم حامد الصغير، لأنه ألف كتاب يشبه كتاب الأحياء[3]، كان يقرأ القران في الثلث الأخير من الليل، وله مجلس للحديث يجيب فيه على المسائل، ويقول: يجب أن يكون العمل هو مذهب مالك[4].

3-أحمد بن جعفر سيد بونة الخزاعي (ت 624هـ/1226م):

كان فاضلا بارعا، له بسطة في اللسان وقدرة على الكلام، لا يناظره أحد[5]، وتنسب إليه الطريقة البونية، كان يؤثر الحديث والفقه، والتفسير على غير ذلك من العلوم، أما شيخه في التصوف كان أبى مدين شعيب، الذي أقر له بالإمامة في قوله: "إن كنت بالأمس إمامك فأنت اليوم إمامي وإمام كل إمام"[6].

وله خطب مثل تلك التي يوردها صاحب كتاب الشهاب إذ يقول: "الحج ظاهره الوقوف، وباطنه قبول الدعوة، فحج أسس لغير الله لا يقبله من مخلوق، فارفعوا هممكم يا أهل طريق التصوف إلى الله، ولا تشغلنكم النفوس الأمارة[7].

---

[1]بونابي، المرجع السابق، ص282.

[2]البادسي، المصدر السابق، ص52.

[3]برنشفيك، المرجع السابق، ص334.

[4]الغبريني، المصدر السابق، ص36-37. وهو صاحب الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث، وله تذكرة في أصول الدين، وكتاب النبراس في الرد على منكر القياس، كما له كتاب أحاط فيه بعلم المعقول والمنقول.

[5]التنبكتي، المصدر السابق، ص69-70.

[6]محمد مفتاح، الخطاب الصوفي، ط1، مكتبة الرشاد، المغرب، 1997، ص245-249.

[7]بونابي، المرجع السابق، ص284-285.

فالمشاهد للخطبة يجدها تعكس فقها كبيرا، واطلاعا واسعا، إضافة إلى أن فيها إشارة إلى نوع من المجاهدات، وهذا يعكس تصوف أبى مدين في شخصيته.

كما اوجب على من يريد أن يسير في هذا الطريق (البونية)، معرفة علوم الشريعة إضافة إلى التمسك بالذكر، و أقام ركعات، وهي تشبه طريقة أبي مدين.

ومادة الأذكار هي الأشعار الصوفية، إضافة إلى مسائل التوكل والسماع، والورود والإيثار، وغيرها من التعفف وآداب الزيارة[1].

وبعد عودته من الحج عرج على بجاية، وأخذ على أبي مدين وعمل على نشر طريقته فكثر أتباعه وذاع صيته كما اشرنا إلى ذلك سابقا[2].

4-أبو يعقوب بن يوسف بن خلف الكومي:

استقر في بلنسية، وأخذ عنه جملة من الصوفية، منهم محي الدين العربي، الذي تأثر به في فكرة الوصول إلى مرتبة الحقيقة المفضية إلى الوحدة بين العبد ومعبوده حيث نهل من علم أبي مدين ببجاية، والتقى بصوفية المغرب الأوسط[3] .

ومما تجدر الإشارة إليه: أن هؤلاء التلاميذ التقوا بأبي مدين في بجاية، ولعل اختيارها يعود لعدة أسباب:

- ✓ التقدم العلمي الذي تحقق خاصة في عهد بني حماد، الذين نشطوا العلم، وتعريب الكثير من البربر.
- ✓ الهجرة الأندلسية اثر الحوادث الكبرى، والانقلابات التي داهمت الأندلس من المرابطين إلى الموحدين.

[1]ابن سيدبونة، كتاب الشهاب، تح: عبد الإله بنعرفة، مركز التراث المغربي، المغرب، 2005، ص176.
[2]محمد مفتاح، المرجع السابق، ص256 -267.
[3]بونابي، المرجع السابق، ص285.

✓ وفرة المدارس والمعاهد العلمية والزوايا الصوفية، نبغ بها علماء أجلاء كان لهم رأي في الشريعة الإسلامية[1].

كما ينبغي التذكير أنه: كان صراع ونزاع بين الفقهاء والمتصوفة، فالمتصوفة كانوا يطعنون في سلطة الفقهاء، متهمين إياهم بفرط احتكاكهم إلى الحكام، وإقبالهم على الدنيا كما قام الفقهاء في عهد المرابطين بالإفتاء بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما أن الفقهاء حاولوا الإيقاع بخصومهم المتصوفة باستغلال صلتهم بالبلاط فاتهموا بعض المتصوفين بالزندقة[2].

ومما سبق يمكن القول أن: التلاميذ الذين تأثروا بأبي مدين، ونهلوا من علمه كثيرون، وقد استطاع هؤلاء التلاميذ نشر أفكار مدرسته في أماكن شتى من أصقاع الأرض، وقد كان القرن(6هـ-12م)، يمثل ازدهار الحياة الفكرية والعلمية في المغرب الأوسط خاصة بجاية، التي كانت تعكس حاضرة علمية وروافد حضارية مهمة، مما جعلها مدينة العلم في ذلك الوقت خاصة في جانب التصوف.

[1]بوشارب عبد الصمد، "أبو الغوث التلمساني شخصيته وأثاره"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2011، ص42.

[2]لخضر بولطيف، "جدلية الشريعة والحقيقة، وإرهاصات الطريقة"، ضمن أعمال الندوة الدولية حول: عبد السلام بن مشيش والطريقة الشاذلية من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، منشورات جامعة تطوان، المغرب، 2016، ص110-111-112.

الفصل الثالث:

انصهار المدرسة المدينية في الطريقة الشاذلية

أولا: بطاقة تعريفية لأبي الحسن الشاذلي

ثانيا: نهج الطريقة الشاذلية

ثالثا: أقوال الشاذلي وحكمه ومآثره

تمهيد:

بعد الحديث عن أبي مدين شعيب وتلامذته، ستحاول الدراسة في هذا الفصل تتبع انصهار المدينية وتعاليمها في الطريقة الشاذلية، خلال نهاية القرن(7هـ-13م)، وبداية القرن(8هـ-14م)، نظرا لما قام به تلامذته (أبو مدين)، من عمل بارع ومجد في نشر تعاليم مدرسته، وعلى هذا الأساس يتبادر إلى أذهاننا طرح التساؤل التالي:

- ماذا أخذت الشاذلية عن المدينية؟ بمعنى أخر: كيف أثرت المدينية في الشاذلية؟

أولا: بطاقة تعريفية لأبي الحسن الشاذلي:

1-نسبه:

أبو الحسن الشاذلي:لقبه تقي الدين، وكنيته أبو الحسن، وشهرته الشاذلي، واسمه علي بن عبد الله بن عبد الجبار الزرويلي، الغماري الشاذلي[1]، وقد اختلف في نسبه على قولين بعد اتفاقهم على أنه يرجع إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

القول الأول: قول المشارقة، هو علي بن عبد الله، بن عبد الجبار، بن تميم، بن هرمز، بن حاتم، بن قصي، ين يوسف، بن يوشع، بن ورد، بن بطال، بن محمد، بن أحمد، بن عيسى، بن الحسن، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[2].

[1] خالد بن ناصر العتيمي، الطريقة الشاذلية، ط1، مكتبة الرشاد، الرياض، 2011، مج1، ص114.

[2] ابن الصباغ، درة الأسرار، المكتبة الأزهرية، مصر، 2001، ص22.

القول الثاني: قول المغاربة، فهم يرجعون نسبهم إلى الأدارسة سلاطين المغرب الأقصى، فهم يتفقون مع نسب المشارقة إلى عيسى الجد الثالث عش، وبعدها يختلفون فيقولون:عيسى بن إدريس، بن عمران بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر، بن عبد الله بن حسن المثنى بن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

2- مولده ونشأته:

نشأ أبو الحسن الشاذلي ببلدة من إقليم غمارة بالمغرب الأقصى[2]، انساق الصبي منذ صغره إلى تعلم علوم القوم، فاتجه إلى شيخ الصوفية وهو أبو الحسن حرزام ت(633هـ)، ولبس منه الخرقة، وهذا الأخير هو من كبار تلامذة أبي مدين تلمساني[3]، حيث يقول ابن عطاء السكندري: لم يدخل طريق القوم حتى كان بعدا للمناظرة في العلوم الظاهرة[4]، وهنا التفاتة جميلة، حيث نرى بصمات أبى مدين ودورها الكبير في تأسيس الطريقة، ثم سافر إلى بغداد، باعتبارها حاضرا من حواضر العلم والعلماء، والتقى بالشيخ أبو الفتح الواسطي ت(580هـ)، واستفاد منه، ثم عاد إلى بلده والتقى بعبد السلام بن مشيش ت(625هـ) فقد كان هذا الأخير متمسكا بكتاب الله والسنة عاملا بهما[5]، وصفه أتباعه: أنه منذ نشأته كان طالبا للعلم خاصة علوم الشريعة، جامعا لفنونها من تفسير وحديث وأصول وغيرها، ثم سلك منهاج التصوف وذلك لعدة عوامل أهمها:

---

[1] العتيمي، المرجع السابق، ص116-117.

[2] العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجائر، دار البراق، الجزائر، 1991، ص148.

[3] عامر النجار، الطرق الصوفية في مص، ط5، دار المعارف، مصر، 1990، ص122.

[4] عبد الحليم محمود، قضية التصوف، ط2، دار المعارف، مصر، 1990، ص18.

[5] عبد الحليم محمود، المرجع نفسه، ص19-21.

➢أن بلاد المغرب من البيئات التي احتضنت التصوف، وأخرجت الكثير من رواده مثل أبو مدين، وأبو يعزى وابن مشيش[1].

وبالتالي أبو مدين هو أستاذ ابن مشيش، وهذا الأخير هو أستاذ ابن الحسن الشاذلي.

أمضى الشاذلي أغلب حياته في تونس ومصر وكان يدرس كتابة ختم الولاية للترميذي، وكتاب إحياء علوم الدين ورسالة القشيري، وكتاب قوت القلوب حيث قال:كتاب الإحياء يورث العلم وكتاب القوت يورث النور[2].

وهذا دليل على أنه كان متأثرا بالمدينية، خاصة في الكتب التي كان يدرسها مثل كتاب إحياء علوم الدين لأن أبى مدين كان يعكف على كتاب الإحياء.

ومما زاد من أتباع الطريقة الشاذلية هو طريق الحج، لأن طلاب العلم عادة ما يقصدون طلب العلم خارج بلادهم[3]، فكان الناس يلتفون حوله ويزدادون يوما عن يوم إلى أن اجتمع عليه خلق كثير، وبعدها بدأت الغيرة تدب في قلب أحد الفقهاء ذاك العصر، و حاول أن يوقع بأبي الحسن، لكنه فشل، وبعدها انتقل الشاذلي إلى المشرق قبل موعد الحج بزمن طويل[4]، وتوفي في شوال سنة(656هـ)، وعمره63 سنة جنوب مصر[5].

وقد غالى أتباع الشاذلية في تعظيم مكانة شيخهم، وأوردو نصوص الغلو والتعظيم، التي أوصلته إلى مرتبة النبوة بل الألوهية، حيث قال أبو العباس المرسي:

---

[1]العتيمي، المرجع السابق، ص131.

[2]العتيمي، المرجع السابق، ص170-173.

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص493.

[4]عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص33-38.

[5]العتيمي، المرجع السابق، ص228.

فاني صحبت رأسا من رؤوس الصديقين، وأخذت منه سرا لا يكون إلا لواحد بعد واحد...، و به أفتخر، وهو الحسن الشاذلي[1].

وقد ترك خلفه آثارا منها: أحزابه وأوراده وآداب التوحيد، وهي أحزاب تكشف عن طاقة روحية وقدرة عالية في التعبير[2] ومن أهم تلاميذه عبد العزيز الزيتوني، وأبو الحسن علي بن مخلوف الصقلي، والذي صحبه بالمغرب، ومحمد القرطبي الذي صحب الشاذلي بتونس وتوفي بها سنة (661هـ).

ثانيا: نهج الطريقة الشاذلية

الطريقة الشاذلية: هي واحدة من الطرق الصوفية[3]،منسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي[4]، تقوم على عدة قواعد أهمها:

التوبة، يبدأ بها السالك إلى الله، ويدخل ضمنها تقوى الله في السر والعلن.

الذكر، ذكر الله، وله صيغ كثيرة منها القلب واللسان، إضافة إلى الجهاد.

الرضا، بمعنى أن ترضى بما قسمه الله لك في القليل والكثير[5]، إضافة إلى المحبة، فلا يشغلك عن حب الله شيء[6].

حيث نادى مؤسس هذه الطريقة بضرورة تجاوز التصوف الفلسفي، الذي أطلق عليه تصوف الخاصة، وعمل على إنشاء تصوف شعبي، يسير مع جميع متطلبات

---

[1] العتيمي، المرجع نفسه، ص173.

[2] عامر النجار، المرجع السابق، ص150.

[3] العتيمي، المرجع السابق، ص213-214.

[4] ابن الصباغ، المرجع السابق، ص7.

[5] العتيمي، المرجع السابق، ص410.

[6] عبد الحكيم عبد الغاني قاسم، المذاهب الصوفية، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص178.

الحياة بأثر القران والسنة[1]، حيث قال: "ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة...، وإنما بالصبر على الأوامر واليقين في البداية"[2]، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3]، وهذا يعني عدم التشدد.

كما كان له مجموعة من الأسس والمبادئ، وهي التخلية والتحلية أو التزكية، بمعنى تنقية النفس من الشهوات، والانقطاع عن الحياة، والتزكية بالمقابل تحلية النفس بالأوصاف المستفادة، مثل قراءة الأوراد[4].

والتصوف عنده ليس المرقعات والثياب، وليس فيه مشقة ولا كثرة مجاهدة، وذلك بعدم إتعاب جوارحهم الظاهرة، ومن خصائص مدرسته كذلك الحث على العمل والتسبب، وأن الله ينتقم ممن يعادي أتباع الشاذلية[5].

وهنا إشارة إلى أنه متأثر بطريقة أبي مدين، فمثلا الرجل الذي أنكر على تلامذته (أبو مدين)، بعض أمورهم فسلب المكاشفة.

كما عرف عنه أنه كان متزنا في ملبسه، ومأكله ومشربه بل كان يلبس الفاخر من الثياب، وكان بحرا من العلم وصفه صاحب البردة:

لَقَدْ كَانَ بَحْرَاً فِي الشَرَّائِعِ رَاسِخَاً لاَ سِيَمَا عِلْمُ الفَرَائِضِ وَالسُنَنِ

وَمِن مَنْهَلِ التَوْحِيدِ عَبَ وارْتَوَى فَلِلّهِ كَمْ رَوَى قُلُوبًا بِهَا مِحَنُ

وَحَازَ عُلُومًا لَيسَ لِكَاتِبِ وَهَل يَحْصُرُ الكِتَابُ مَنْ حَازَ مَنْ فَتَنَ[6]

---

[1]منال عبد المنعم، التصوف في مصر والمغرب، كلية الآداب، الإسكندرية، 1985، ص72-73.

[2]عامر النجار، المرجع السابق، ص150.

[3] سورة السجدة، الاية24.

[4]منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص73.

[5]العتيمي، المرجع السابق، ص409-413.

[6]عامر النجار، المرجع السابق، ص153.

وهذا دليل: على تضلعه في العلوم، كما يظهر أنه متأثر بالتوحيد مثل أبو مدين، وأن طريقته لقيت رواجا كبيرا.

كما كانت لهم أمور عقدية خاصة بهم فمثلا، في جانب التوحيد يفسرونه بعلم الظاهر والباطن، ففي تعريفهم الباطني فسروه بمعنى: وحدة الوجود.

حقيقة قولهم في توحيد الربوبية، أنه توحيد سري، لا يطلع عليه إلا خواص خواصهم، و يقسمون الذات إلى ذات جبروتية وملكوتية[1].

كما ناد أصحاب هذه النظرية بالتحرر من المواقف النظرية[2]، بمعنى أنه ليس لأعمال الجوارح أهمية كبيرة في تهذيب النفس، وبهذا يكون قد سلك مسلكا فريدا من نوعه لم يسلكه سابقوه، عكس أبى مدين شعيب الذي يرى أن المجاهدات مثل الصوم هي طريق الكشف.

لذلك قالوا للمجاهدات أربع مراحل:

- رياضة النفس من الناحية الأخلاقية وهي: استبدال أخلاق النفس المذمومة بالحميدة.
- اصطناع المجاهدات الشاقة وهي: الذكر، والعزلة، والخلوة.
- إلزام النفس أدب السلوك.
- إذا ترقى الصوفي في هذه المجاهدات يصل إلى الكشف.

وبالتالي: الذكر هو السبيل المضفي إلى الكشف.

[1] العتيمي، المرجع السابق، ص1593.

[2] منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص73.

إضافة إلى قولهم بالعزلة والخلوة، التي تكمن أهميتها بالانقطاع عن الناس والتفكير في مراتب الكون حيث قال: الحسن الشاذلي" أما أهل الله وخاصته، فهم قوم حبب إليهم الخلوات، وفتح لهم سبيل المناجاة [1].

ثالثا: أقوال الشاذلي وحكمه ومآثره

قبل الحديث عن هذه الأقوال، نشير إلى أنه بعد وفاة الشاذلي أكمل بعض أتباعه وتلامذته نشر أفكار مدرسته، ومن بينهم عطاء الله السكندري ت (709هـ)، والذي سنحاول الوقوف على بعض حكمه، لإظهار تأثر الشاذلية بالمدينية وذلك من خلال قوله:

➢من علامات النجح في النهايات، الرجوع إلى الله تعالى في البدايات، بمعنى بداية المريد حال سلوكه، ونهايته حال وصوله، فمن صحح بدايته بالرجوع إلى الله والتوكل عليه، أفلح ونجح[2]، وهذا يظهر من خلال: ما قرأناه حول بعض الأولياء مثل أبو مدين، فقبل ولوجه إلى الدين إلا أنه كانت له رغبة في ذلك، من خلال ما يبديه من نيات حسنة، فالإشراق والنور هو بداية المريد.

➢كما له عدة أقوال من بينها، حقيقة الذكر ما اطمئن بمعناه القلب، وتجلى في حقائق سحاب أنوار الرب، وهذا دليل على أن الذكر هو السبيل المؤدي إلى الكشف[3].

[1] العتيمي، المرجع السابق، ص1817.

[2] ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، جمع: ابن عباد الرندي، ط1، مركز الأهرام، مصر، 1988، ص130.

[3] ابن الصباغ، المرجع السابق، ص144.

➢أخرج من أوصاف بشريتك من كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبا، وهذا يعني أن الأوصاف البشرية المتعلقة بالدين نوعان، أحدهما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه، والثاني يتعلق بباطنه وقلبه[1].

➢ما استودع في غيب السرائر، ظهر في شهادة الظواهر، وهذا دليل على أن الظاهر مرآة الباطن[2].

كما له عدة أقوال منها، الدليل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، طريق العقل، والكرامة، وطرق السر، فدليل الكرامة لأولياء الله المقربين[3].

كما توجد له حكم حول التوحيد وأهميته، وكيف يتحقق الكشف والطاعة كما تحدث عن نعم الله و الشكر، وأهمية التوكل.

كما كان كثير المداومة على قراءة الأوراد والأذكار.

ومما سبق يمكن القول، أن الطريقة الشاذلية فريدة من نوعها، إلا أنها لم تستطع أن تخفي بذور المدينية في ثمارها، فرغم أن بعض المؤلفين يحاولون إظهار الاختلاف، إلا أن التشابه الكبير يحكي عكس ذلك، فالشاذلية استقت مادتها الخام من المدينية.

[1]ابن عطاء الله السكندري، المرجع السابق، ص168.

[2]المصدر نفسه،ص154.

[3]ابن الصباغ، المرجع السابق، ص89.

الخاتمة

ومما سبق، وعلى سبيل الخاتمة لهذه الدراسة، يمكن القول:

إن هناك معان وتعريفات متعددة للفقه كما للتصوف، سواء اللغوية أو الاصطلاحية، كما يوجد اختلاف بين المصادر والمراجع حول ظهور ونشأة علم الحقيقة، إلا أن علاقة الفقه بالتصوف هي علاقة الأصل بالفرع أي تكاملية، فالظاهر ما هو إلا صورة للباطن والعكس صحيح.

إن شخصية أبي مدين شعيب فريدة من نوعها، نظرا لتعدد مشاربها، وكثرة ترحالها، فقد استطاع بفضل دهائه وحنكته، أن يجمع بين مختلف النظريات الصوفية سواء المشرقية والمغربية، وحتى الأندلسية، وأن يعطيها طابعا خاصا، ولونا مميزا، في نطاق ما يعرف بالتصوف السلوكي المعتدل.

ورغم أن المصادر مشرقيها ومغربيها وأندلسيها، تختلف حول شخصيته هل هي فقهية أم صوفية؟، إلا أنها في نظري إنما تجمع بين المنحيين، ولعل هذا ما زاد في شعبيته والالتفاف حوله، خاصة بإفتائه في مسائل مذهب الإمام مالك، وتوظيفه للكرامة الصوفية في التفسير، فهو فقيه المتصوفين، ومتصوف الفقهاء، فرغم الجدل الحاصل بين الفقهاء والمتصوفة في القرن الخامس الهجري، إلا أنه استطاع أن يبرز في القرن السادس الموالي، ويستمر تأثيره إلى القرن الثامن الهجري.

ومما لا شك فيه أن تلامذة أبي مدين شعيب كثيرون، سواء الذين درسوا عنده أو تأثروا به، وقد استطاعوا أن ينشروا تعاليم مدرسته بعده، سواء الأندلسيون منهم، أو تلامذة المغرب الأقصى وإفريقية، إضافة إلى تلامذة تلمسان وبجاية.

لقد نهجوا نهج شيخهم، واستلهموا من علمه، مما جعل طريقته تنتشر في مختلف بقاع العالم، وهناك من تلامذته من ظهرت له نفس معالم أبي مدين شعيب، وهناك ربما من فاقه، مثل: ابن سيد بونة الخزاعي، وأبو محمد صالح.

إن الطريقة الشاذلية هي صورة للمدينية، فرغم أنها حاولت أن تأتي بالجديد، وتبرز في صورة إبداعية صوفية طريفة، ورغم جهود مؤسسها أبي الحسن الشاذلي في ابتكار وإظهار أفكار جديدة، ومحاولته إخفاء بذور المدينية في جذوره، إلا أن تعاليمها (المدينية) كانت ظاهرة في ثمارها.

في الأخير، أستسمح الشيخ أبا مدين شعيب وتلامذته، إن كنت قد أقظظت مضاجعهم، ورفعت الحصانة عنهم بهذا التفتيش المرخّص، فهو عمل روتيني نقوم به كباحثين من حين إلى آخر، لنفض الغبار عن الذاكرة التاريخية، حتى تبقى ناصعة البياض، فهي ملك للأمة، وبعض الشعوب اتخذت من تاريخها عقدا تتباهى به بين أمم الدنيا.

الملاحق

- الملحق (01): أبو مدين شعيب فقيها

- الملحق (02): أبو مدين شعيب صوفيا

- الملحق (03): إفادات متفردة عن أبي مدين

ملحق رقم (01): أبو مدين شعيب فقيها

الإفادة	ابن مريم	المقري	التنبكتي	النبهاني	التميمي	ابن الزيات	ابن قنفذ	الغبريني	ابن عبد الملك	ابن عربي	الصومعي
كيف شرح مسألة صلاة الفجر والظهر	×	×	×		×		×				
درس عند الفقهاء		×	×			×		×	×		×
حافظ لجميع الترمذي		×	×			×		×	×		×
الإجابة في مسائل المالكية	×	×	×								×
شرح حديث إذا مات المؤمن أعطي نصف جنته	×		×	×			×	×			×
المؤمن يدخل الجنة بعدل الله										×	
قرأ الفاتحة على الأوجه السبعة											×
كيف شرح أن أبا يعزى يلمس بطون النساء						×					

ملحق رقم (02): أبو مدين شعيب صوفيا

الافادة	ابن الزيات	ابن عربي	ابن عبد الملك	الغبريني	ابن مريم	ابن قنفذ	ابن الأبار	الصومعي	التنبكتي نيل الابتهاج	المقري	النبهاني	محمد ابن جعفر	محمد ابن مخلوف	التنبكتي كفاية المحتاج
مقام التوكل	×	×			×	×		×	×	×		×		×
شيخ الصوفية			×				×			×		×	×	
له تلاميذ كثر	×		×		×	×		×	×			×	×	×
قصة الحور العين	×		×		×			×						
الرجل الذي جاء يقتبس من أنواره	×	×			×			×	×	×	×			×
كرامة الطيور					×			×	×	×	×	×	×	×
كرامة الأسد					×			×	×	×	×			×
كرامة الأسر					×				×	×	×			×
الرجل الذي رآه معلق بساق العرش					×				×	×		×		×
له رحلة مشرقية					×			×	×	×			×	×
هل الخضر نبي أم ولي؟					×				×	×		×		

ملحق رقم (03): إفادات متفردة عن أبي مدين

ابن عربي: – كان للشيخ ولد عمره 7 سنوات... فيقول أرى بعين والدي – كان إذا قيل له قال فلان يقول: ما نريد أن نأكل قديدا... حدثوا عن ربكم – ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة – كان كثير الذكر له كلام في التوحيد
الغبريني: – صدور الفتيا له – قصة الكاتب الذي أصبح خياطا – قصة الرجل الذي رأى ذا القرنين
الصومعي: – له أدعية عجيبة من الاستخارة – قصة العنب وقصة الرهبان، إضافة الأمير الذي قتل أخاه، وأراد من يداويه

ابن الطواح: - كان يستخدم الجن، تفسير سورة يوسف
ابن فضل الله العمري: - تنبأ بالفقير الذي سيأتي - فسر للرجل الذي جاء له... تصدق لتخلص مما أنت فيه

الورّاقيــة

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار التراث العربي، لبنان، (د،ت)، ج3.

2- الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، بيروت، 1991.

3- البادسي، المقصد الشريف، تح: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993.

4- البيضاوي، منهاج الوصول إلى علم الأصول، تح: شعبان محمد إسماعيل، ط1، دار ابن حزم، بيروت، (د،ت).

5- التميمي، المستفاد، تح: محمد الشريف، ط1، كلية العلوم الإنسانية، تطوان، 2002.

6- التنبكتي، كفاية المحتاج، تح: محمد مطيع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، 2000، ج1.

7- التنبكتي، نيل الابتهاج ، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ج1.

8- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج وآخرون، ط1، لبنان، 1996، ج2.

9- ابن تيمية، فقه التصوف، تح: زهير شفيق الكعبي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1993.

10- الجرجاني، التعريفات، ط1، دار لبنان، لبنان، 1985.

11- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، تح: أحمد جار، ط1، دار الغد الجديد، مصر، 2005.

12- الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار الملايين، بيروت، 1990، ج6.

13- ابن خلدون، المقدمة، تح: على عبد الواحد وافي، ط7، دار النهضة، مصر، 2014، ج3.

14- الدباغ، الأسرار الجلية، تح: عبد الكريم الشبلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2015.

15- الذهبي، تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ج12.

16- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، 1965، ج36.

17- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج2.

18- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، دار الرباط، الرباط ، 1997.

19- ابن سيدبونة، كتاب الشهاب، تح: عبد الإله بنعرفة، مركز التراث المغربي، المغرب، 2005.

20- الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، تح: محي الدين ديبوستو ويوسف علي بدوي، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1990.

21- ابن الصباغ، درة الأسرار، المكتبة الأزهرية، مصر،2001.

22- ابن الصباغ، مناقب أبي علي سالم التباسي، تح: أحمد الباهي، ط1، دار كونتراست، تونس، 2012.

23- الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تح: علي الجاوي، ط1، دار المعارف الجديدة، الرباط، 1996.

24- ابن الطواح، سبك المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود جبران، ط2، دار الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2008.

25- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (د،ت)، ج4.

26- ابن عربي، الفتوحات المكية، تح: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1999، مج4.

27- ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، جمعها: ابن عباد الرندي، ط1، مركز الأهرام، مصر، 1988.

28- الغبريني، عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1989.

29- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ج8.

30- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، الرسالة، بيروت، 2005.

31- ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ط1، دار المنصورة، الرباط، 1973.

32- القشيري، الرسالة القشيرية، تح: معروف مصطفى، ط1، دار الفكر، بيروت، 2001.

33- ابن قنفذ، أنس الفقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

34- الكفوي، الكليات ، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.

35- الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.

36- الماجري، المنهاج الواضح، تح: أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

37- مخلوف، شجرة النور الزكية، المكتبة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ج1.

38- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، ط1، منشورات دار الأوقاف، المغرب، 2008.

39- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن شنب، ط1، المدرسة الثعالبية، الجزائر، 1908.

40- المقري، نفع الطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج7.

41- المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990.

42- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1882، مج5.

43- النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط1، دار بركات رضا فور بندر، الهند، 2001، ج2.

44- نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج3.

45- الهواري، مناقب أبي سعيد الباجي، تح: أحمد البخاري، ط1، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2004.

ثانيا: المراجع

أ- الكتب:

1- برتشفيك، روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط2.

2- البرديسي، محمد زكرياء، أصول الفقه، دار الثقافة، مصر، (د،ت).

3- بونابي، الطاهر، التصوف في الجزائر، عين مليلة، الجزائر، 2004.

4- خالد، يونس، التصوف قلب الإسلام، ط1، دار الجبل، بيروت، 2005.

5- الخن، مصطفى سعيد، أصول الفقه الإسلامي -تاريخه وتطوره-، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 2002.

6- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1.

7- سيد أحمد، عبد الفتاح محمد، التصوف بين الغزالي وابن تيمية، ط،1 دار الوفاء، مصر، 2000.

8- الشحات، إبراهيم منصور، أصول الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ت).

9- الشرقاوي، الحسن، معجم الألفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار، القاهرة، 1998.

10- ظهير، إحسان إلهي، التصوف -المنشأ والمصدر-، ط1، دار السنة، باكستان، 1936.

11- عبد المنعم، حمود عبد الرحمان، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، 1999، ج3.

12- عبد المنعم، منال، التصوف في مصر والمغرب، كلية الآداب، الإسكندرية، 1985.

13- العتيمي، خالد بن ناصر، الطريقة الشاذلية، ط1، مكتبة الرشاد، الرياض، 2011، مج1.

14- العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، الجزائر، 1991.

15- عكاشة، حسن علي، علاقة التوازن والتكامل بين الفقه والتصوف، دار الكتب الحديثة، مصر، (د، ت).

16- قاسم، عبد الحكيم عبد الغاني، المذاهب الصوفية، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.

17- محمود، عبد الحليم، قضية التصوف، ط2، دار المعارف، مصر، 1990.

18- مفتاح، محمد، الخطاب الصوفي، ط1، مكتبة الرشاد، المغرب، 1997.

19- النجار، عامر، الطرق الصوفية في مصر، ط5، دار المعارف، مصر، 1990.

ب-الملتقيات العلمية:

1-بولطيف، لخضر، "جدلية الشريعة والحقيقة، وإرهاصات الطريقة"، ضمن أعمال الندوة الدولية حول: عبد السلام بن مشيش والطريقة الشاذلية من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، منشورات جامعة تطوان، المغرب، 2016.

ج-الرسائل الجامعية:

1- بوشارب، عبد الصمد، "أبو الغوث التلمساني -شخصيته وآثاره"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2011.

الكشافات

01- كشاف الأعلام البشرية.

02- كشاف الاصطلاحات العلمية.

1- كشاف الأعلام البشرية

-أ-

إبراهيم الأنصاري: 36.

ابن حرزهم: 25، 32.

ابن خلدون: 17، 19.

ابن عباس: 11.

ابن عريف: 32.

ابن محمد صالح: 40، 42.

ابن مرزوق: 40.

ابن منظور: 18.

أبو الحسن السلاوي: 27.

أبو الحسن علي بن مخلوف: 50.

أبو الحسن محمد الغافقي: 28.

أبو الفتح الو اسطي: 48.

أبو حنيفة: 13.

أبو داود المزاحم: 43.

أبو زكرياء الحسناوي: 41.

أبو سعيد خلف الباجي: 39.

أبو طالب: 30.

أبو علي النفطي: 38.

أبو مدين: 24، 26، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 38، 39، 42، 43، 44، 45، 47، 48، 51، 52، 53.

أبو مروان الفحصيلي: 36.

أبو نصر السراج: 19.

أبو يعزى: 26، 27، 32، 48.

أبو العباس المغربي: 40.

أحمد بن جعفر: 41.

الإمام مالك: 13.

الآمدي: 13.

-ب-

بلال بن عبد الله الحبشي: 36.

البيضاوي: 13.

-ج-

الجنيد: 19، 21، 27.

الجوهري: 18.

-ح-

الحسن البصري: 21.

الحسن الشاذلي: 47، 48، 49.

الحسن الكناد: 19.

الحسن حزرام: 48.

الحسن علي بن غالب: 25.

-خ-

الخضر: 29.

-د-

الدهماني: 37، 38.

-ر-

الرازي: 13.

-س-

سالم التباسي: 39.

سحنون: 20.

-ش-

الشبلي: 18.

-ص-

صالح الماجري: 43.

-ط-

طاهر المزوغي: 39، 40.

-ع-

عبد الرحمن الاشبيلي: 44.

عبد الرحيم: 30.

عبد الرزاق الجزولي: 43.

عبد السلام بن مشيش: 48.

عبد العزيز الزيتوني: 49.

عبد العزيز المهداوي: 37.

عبد القادر الجيلاني: 27، 31، 32.

عبد الله الدقاق: 27.

عطاء الله السكندري: 48، 53.

علي بن أبي طالب :16.

عمر الصباغ: 28.

-غ-

الغزالي: 13، 27، 30، 32، 45.

-ق-

القشيري: 19، 27، 32، 49.

-ك-

الكومي: 44.

-م-

المحاسبي: 32.

محمد القرطبي: 50.

محمد بن علي: 36.

مسعود بن عريف: 36.

فهرس المحتوى

الموضوع	ص
المقدمة	**1**
الفصل التمهيدي: الفقه والتصوف.. علائق واختلاف	
تمهيد:	
أولا: الفقه	
1- تعريف الفقه	
1-1- لغة	
1-2- اصطلاحا	
2- تاريخ أصول الفقه وقواعده	
2-1- تاريخ أصول الفقه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم	
2-2- تاريخ أصول الفقه زمن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم	
ثانيا: التصوف	
1- تعريف التصوف	
1-1-لغة:	
1-2- اصطلاحا	
2- ظهوره	
ثالثا: علاقة الفقه بالتصوف	
الفصل الأول: تجربة أبي مدين في التوفيق بين الفقه والتصوف	
تمهيد:	
أولا: البعد الفقهي في تجربة أبي مدين شعيب	
ثانيا: الحضور الصوفي في تجربة أبي مدين شعيب	
ثالثا: تأثير الرحلة في تكوين شخصية أبي مدين شعيب	
الفصل الثاني: التوافق بين الحقيقة والشريعة عند تلامذة أبي مدين	

تمهيد:	
أولا: المجموعة الأولى بإفريقية	
1-عبد العزيز بن بكر القرشي المهداوي	
2-الدهماني	
3-أبو علي النفطي	
4-أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي	
5-سالم التباسي	
6-الشيخ طاهر المزوغي	
ثانيا: المجموعة الثانية ببجاية وتلمسان	
1-أبو بكر ابن مرزوق	
2-أبو زكريا يحيى الحسناوي الزواوي	
ثالثا: المجموعة الثالثة بالمغرب الأقصى	
1-أبو محمد صالح	
2-عبد الرزاق الجزولي	
رابعا: المجموعة الرابعة بالأندلس	
1-أبو داوود المزاحم	
2-عبد الرحمان الاشبيلي	
3-أحمد بن جعفر سيد بونة الخزاعي	
4-أبو يعقوب بن يوسف بن خلف الكومي	
الفصل الثالث: انصهار المدرسة المدينية في الطريقة الشاذلية	
تمهيد:	
أولا: بطاقة تعريفية لأبي الحسن الشاذلي	
1-نسبه	
2-مولده ونشأته	
ثانيا: نهج الطريقة الشاذلية	

ثالثا: أقوال الشاذلي وحكمه ومآثره	
الخاتمة	
القائمة البيبلوغرافية	
الملاحق	
الكشافات	
فهرس المحتوى	

تم بحمد الله